آراء أبو إسحاق النَظّام حول القرآن الكريم
"عرض ونقد"

إعداد

الدكتور/ صلاح بن سالم بن سعيد باعثمان

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد

كلية التربية –جامعة جده

من ١٧٧٥ إلى ١٨٥٤

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل على سيدنا محمد، وآله وصحبه الكرام، الطيبين، الطاهرين، واحشرنا في زمرتهم يا أرحم الراحمين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد: فإن القرآن الكريم هو كلام الله القديم المعجز، وهو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد لهداية الناس أجمعين، وقد جاء معجزة خالدة تحدى بها الإسلام العرب فعجزوا عن مجاراتها فيما حوت من إعجاز في نظمها وأسلوبها، وما اشتملت عليه من روائع الشرائع والحكم والعلوم والأمثال.

وإعجاز القرآن بأي وجه من الوجوه، لأن إعجازه حقيقة ثابتة، وقضية واضحة وضوح الشمس، منذ أن نزل القرآن على النبي -ﷺ-، معجزة كبرى تحدى بها البلغاء والحكماء وأهل الكتب السماوية، فعجزوا عن تحديها وأقروا بصدقها وتساميها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

والذي دفعني لاختيار الموضوع عدة أسباب من أهمها ما يأتي:

من البدهيات أن الأطروحات النظرية لم ولن تأتي لأي باحث من دون وجود دافع محدد أو عدة دوافع، وهذه الأطروحة التي نحن بصدد دراستها سبقتها عدة دوافع، بعضها موضوعي والآخر ذاتي، أما الأول: فيرجع لطبيعة الموضوع وأهميته، وبخاصة أن الفكرة لم يتناولها أحد من الباحثين كفكرة مستقلة لها بدء ونهاية، فضلاً عن أن الفكرة في حد ذاتها تحتاج إلى دراسة وبحث وتمحيص، أما ونحن قد أفدنا من التقدم العلمي الملحوظ في شتى الميادين فيجب تناول الفكرة وفق منهج علمي بناء ممهور بالتقنيات المتقدمة التي تثبت صدق الفكرة من عدمه، أما الثاني: فيرجع إلى إعجابي بالفكرة بصفة عامة وبخاصة ونحن نتناول أحد رجال المعتزلة، سواء اتفقت معهم أو اختلفت في أي ناحية من النواحي.

أولاً: إن الاتجاهات العقلية قديما وحديثا، نظرت للقضايا القرآنية نظرة أصابها العديد من ألوان وصنوف التجاوز بكل ما أوتيت الكلمة من معنى.

ثانياً: الإجماع منعقد على أن القرآن هو المعجزة الخالدة للنبي، إلا أن الوقوف على الجهة التي كان منها الإعجاز القرآني مسألة لم تلتق عندها آراء العلماء والباحثين.

ثالثاً: إن جمهور العلماء من أهل السنة ومن غيرهم، ذهبوا إلى أن إعجاز القرآن إعجاز ذاتي يتمثل في نظمه البديع، وفصاحة ألفاظه، وبلاغة معانيه، بيد أن هناك من يخالف هذا المسلك كالنظام ومن سلك مسلكه في قولهم إن وجه إعجازه في الحيلولة بين العرب وبين معارضته.

رابعاً: تأويل آي القرآن مشروعة بضوابط حددها العلماء الثقات، لكن هناك من يخالف العلماء وقواعدهم المشروعة وبالتالي أولوا القرآن على إطلاقه.

خامساً: إزالة اللبس والغموض عن آراء النظام على وجه يبين مسلكه الذي سلكه في كل تناولاته لمسائل القرآن الكريم وعلومه،

سادساً: إن آراء النظام حول قضايا القرآن وعلومه ليس من السهل العثور عليها، فهي متناثرة بين ثنايا الكتب؛ فكانت هذه محاولة لحصر هذه الآراء.

منهج البحث: استخدمت منهجاً تحليليا يحمل بين ثناياه الموضوعية، والتجرد، حيث إنه من بدهيات مناهج البحث، وبخاصة في المجالات العقلية، أن استخدام نوع واحد من المناهج العلمية لا يفي بالغرض المطلوب ولا يحقق الثمرة المرجوة، لذا فقد اجتهدت أن أسلك في بحثي هذا، منهجاً رئيساً وعدة مناهج بحثية مساعدة، كل في موقعه من البحث، فأما المنهج الرئيس، فهو المنهج التحليلي، وذلك أثناء تحليل النصوص، حتى أصل إلى هدفي من ناحية، ومن ناحية أخرى تركيب ما أتوصل إليه من عناصر في نسق متكامل يبرز المعالم المنهجية.

أما المناهج المساعدة: فلقد استخدمت المنهج المقارن أثناء عقد المقارنات المتعددة بين فكر النظام وغيره الذين تناولوا المسألة، واستخدمت المنهج التاريخي، وكذا المنهج النقدي، وسأعرض من خلاله أوجه النقد، التي وُجهت للفكر المطروحة، ومن جانب آخر سأحاول تقديم بعض أوجه النقد التي تتعلق بالقضية المراد بحثها، ولقد عَدّ بعض العلماء والباحثين مثل هذه المنهجية السالفة باسم المنهج التكاملي([1])، وقد حرصت على أن ألتزم بالآتي:

١- الاعتماد في هذا البحث على المراجع الرئيسة للبحث، إلى جانب بعض المراجع والمصادر الأخرى التي تتعلق ببحث القضية المراد تناولها.
٢- كنت أثناء عرضي المسألة أو القضية المراد دراستها، أبدأ بعرض الفكرة كما تناولها أصحابها، من مصادرهم الأساسية الخاصة بهم ما أمكنني ذلك، ثم بعد ذلك أعرض الفكرة بموضوعية، ثم أقوم بتبيان موقفي من المسألة.

---

(١) د. أحمد عبد الحميد الشاعر : نحو منهج متكامل في البحث الفلسفي، ص ٢٥، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد ١٨، السنة ١٩٩٨م.

٣- سرت في دراستي هذه مع الدليل أين وجد، لأن منهجية البحث العلمي، تفرض علي الباحث السير في ضوء هذا المنهج العقلي الرصين .

٤- أثناء عرضي للقضايا التزمت بوضع تصور عام لكل مسألة، دون أن أدخل في نقاش تحليلي صرف، وأخذ ورد، ثم بعد ذلك أبرز الرؤية السليمة للمسألة، ثم أقوم بالتعقيب على ما ذكر في شكل ملحوظات وتعقيبات على المسألة المراد بحثها.

٥- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٦- تخريج الأحاديث النبوية والآثار من مصادرها المعتمدة، والحكم عليها من خلال أقوال أهل العلم.

٧- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.

٨- ترجمة لأهم الأعلام الواردة.

خطة البحث: تشتمل على مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث، وخاتمة على النحو التالي:

مقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج الباحث.

تمهيد: ويشتمل على التعريف بالنظام حياته ومنهجه، وفيه مطلبان

المطلب الأول: حياته ونشأته.

المطلب الثاني: سمات وملامح منهجه .

المبحث الأول: بعنوان: حول مصطلحات البحث وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرأي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: القرآن لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: إعجاز القرآن الكريم عند النظام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز القرآني لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: صور الإعجاز القرآني والعناية به

وبعدُ: فإني أحمد الله حمداً كثيراً مباركاً فيه، فهو الذي وفق وأعان، فله الحمد على ما أسبغ من النعمة، وأتم من المنة، وأسبل من الستر، ويسر من العسر، وقرب من النجاح، وقدر من الصلاح.

والشكر لله وهو المبتدي النوال قبل السؤال، والمعطي من الإفضال فوق الآمال، فأي نعمة أحصى عددها، وأي عطائه أقوم بشكره: ما أسبغ علي من النعماء، أو ما صرف عني من الضراء.

وبالله

التوفيق،،،،،

تمهيد: النظّام حياته [1]ومنهجه

---

(١) للمزيد من الاطلاع والبحث في حياة النظام ونشأته، ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات٢/٢٢٦ الذهبي : سيّر أعلام النبلاء ١٧٢/٥٤٢/١٠البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٧٠ ج.ديبور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٨٠م شوقي ضيف: تاريخ الآداب العربي العصر العباسي الأول ٤٣٠/٣، ط دار المعارف مصر الطبعة السادسة، د علي سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي ، ٥٥٥/١.

المطلب الأول: حياته ونشأته

يُعد (النَظّام) من أهم الشخصيات، الفلسفية، والكلامية لدى المعتزلة، وليس أدل على ذلك، من أنه مفكر من طراز خاص، سلك مسلكاً فلسفياً دقيقاً، وقد تنبه إلى ذلك الفلاسفة، والمتكلمون، والأدباء، والشعراء، حيث نجد اسمه يتكرر على ألسنتهم جميعاً، وقد اعتبره ابن حزم (١)*وابن نباته من أعظم رجال المعتزلة على الإطلاق (٢)*، وكذلك المحدَثون من الباحثين، والمستشرقين أمثال: مارك ستين (٣)، وهورفيتز(٤)،

(١) أبو محمد على بن حزم : طوق الحمامة فى الألف والآلاف ، ص ١٢٣، ط : برلين ١٩٦٤م.

* الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم اليزيدي القرطبي الظاهري صاحب التصانيف الممتعة، ولد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة : الفصل فى الملل والنحل ، وطوق الحمامة، وكانت وفاته سنة (٤٥٦هـ)(راجع: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ،١٨/ ١٨٤ ط:(٣) مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م، وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٥ - ٣٣٠) وتذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٦ - ١١٥٥)وشذرات الذهب (٣/ ٢٩٩ - ٣٠٠).

(٢) ابن نباته : سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، ص ١٢٢، ط : القاهرة ١٢٧٨هـ.

* محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، وله العديد من التصانيف من أهمها:(سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون)،و(سجع المطوق)،و(مطلع الفوائد)،وكانت وفاته سنة(٧٦٨ هـ) (راجع : خير الدين الزركلي: الأعلام (ت١٣٩٦هـ) ٣٨/٧، ط : (١٥) دار العلم للملايين سنة ٢٠٠٢م).

(٣) مارك ستين : ولد مارك ستين سنة ١٩٥٩م في تورنتو، مستشرق وكاتب شهير ومعلق سياسي، وناقد ثقافي، وله كتابات في الصحف والمجلات الأكثر رواجًا، راجع:(د.عبدالرحمن بدوى: موسوعة المستشرقين ص٥٦، ط: دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٩٨م).

(٤) ولد في لاونبرج في ١٨٧٤م،وتعلم في جامعة برلين ، وعين مدرساً بها، تولى تحقيق جزأين من أجزاء «طبقات ابن سعد» وعهد إليه ليوني كايتاني بالبحث في مكتبات القاهرة ودمشق واستانبول عن المخطوطات العربية المتعلقة بتاريخ الإسلام (راجع : د. عبدالرحمن بدوى :موسوعة المستشرقين ص ٢٣٢)

ومكدونالد ([1])و ديبور ([2])، وقد ذكروا أنه أول رجال المدرسة الفلسفية، الإسلامية ،الأصيلة، وأن مذهبه الفلسفي يقوم على أسس علمية متصلة (٣).

أبو إسحق إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري النظام ولد كما يقول ابن نباته نحو سنة (١٨٥هـ-٧٩١م)([4]) تربى بالبصرة، ثم رحل إلى بغداد، وهو من الموالي، شأنه شأن كبار المعتزلة، وشأن غالبية حملة العلم والكلام والفلسفة في القرون الأولى للإسلام.

تتلمذ على خاله أبي الهذيل العلاف، وكان يصحبه في غدواته ومناظراته، وكان من أنبه تلاميذه، ثم انفصل عن أستاذه وأسس مدرسة مستقلة عرفت بالنظامية، يقول الشهرستاني:

" النظامية أصحاب إبراهيم بن سيار بن هانئ النظّام طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة([5]).

---

(١)ماكدونالد، لادنكان بلاك (١٨٦٣م-١٩٤٣م) أصله إنجليزي انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٣م لتعليم اللغات الساميّة، وأسس في الولايات المتحدة مدرسة كندي للبعثات عام١٩١١م وشارك مع زويمر في السنة نفسها في تأسيس مجلة العالم الإسلامي، وتنوع إنتاجه بين الدراسات الشرعية والدراسات اللغوية،له عدة مؤلفات من أهمها: (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام)،(راجع :د. عبدالرحمن بدوى :موسوعة المستشرقين ص ٥٤٣)

(٢) ت .ج.ديبور مستشرق هولندي الأصل اهتم بالدراسات الشرقية وعنى بها ويعتبر من المستشرقين الأول، وله إسهامات عدة فى هذا الجانب من أهمها: تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمه إلى العربية : د. محمد عبد الهادي أبو ريده ، مذهب الذرة عند المسلمين، ترجمه إلى العربية : د. محمد عبد الهادي أبو ريده .

(٣) د. على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفي فى الإسلام ٤٨٦/١،(ط : ٩)، دار المعارف، القاهرة

(٤) راجع:(ابن نباته: سرح العيون ص ١٢٥،ط: القاهرة ١٢٧٨هـ)،

(٥) راجع:(الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ٦١/١،ط:دار المعرفة بيروت ١٤٠٤هـ.)

ويصفه الجاحظ وصفاً دقيقاً في قوله: " كان أنفاً شديد الشكيمة، أباء للهضيمة "، أمّا المستشرق الألماني ماكس هورتن(١٨٧٤ – ١٩٤٥م) فيقول عنه: " النظام أعظم مفكري زمانه تأثيراً بين أهل الإسلام، وهو في الوقت نفسه أول من يمثل الأفكار اليونانية تمثيلاً واضحاً([1]).

ويروى أن جعفر بن يحيى البرمكي ذكر أرسطو طاليس بحضرة النظّام، فقال النظّام: " فقد نقضت عليه كتابه، فقال جعفر: كيف وأنت لا تحسن أن تقرأه؟ فقال: أيما أحب إليك، أن أقرأه من أوله إلى آخره، أم من آخره إلى أوله؟ ثم اندفع يقرأ شيئاً فشيئاً وينقض عليه، فتعجب منه جعفر"([2]).

أما الدكتور أبو ريدة فيقول: "النظام أطرف مفكري عصره وأكثرهم استقلالاً في التفكير، وأوسعهم تفنناً في أنواع المعارف، فهو شاعر مع الشعراء، وهو فقيه مع الفقهاء، ومتكلم مع المتكلمين، إنه صورة لثقافة عصره المتنوعة، ومثال للعالم الذي كان يتطلبه الإسلام في ذلك العهد، هذا إلى ذكاء نادر وحجة قوية واستقلال في التفكير" ([3]).

ويذكر له المؤرخون وكتّاب التراجم، وخصومه أسماء الكتب الكثيرة، إلا أن واحداً منها لم يصل إلى أيدينا ليكون بمثابة الدليل على ضخامة هذه الطاقة العقلية التي كان يتمتع بها ذلك الرجل، ومع ذلك فإن الأقدار لم تشأ أن تقطع صلتنا تماماً بالنظام، فأبقت لنا على شذرات قليلة من كلامه وأشعاره، وتناثر بعضها في كتب التاريخ والأدب، وأثبت بعضها

---

(١) راجع: د. عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ص ٢٣٢، ط: دار نهضة مصر للنشر والطبع ١٩٦٩م.

(٢) راجع: ابن المرتضى: المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، تصحيح: توما أرنولد،ص٣١،ط:دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن،١٣١٦هـ.

(٣) راجع: د. محمد أبو ريده: إبراهيم النظّام وآراؤه الكلامية والفلسفية ص ٦٥، ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٦م.

تلميذه (الجاحظ) في كتاب (الحيوان)، كما أثبت بعضها (أبو الحسين الخياط) في كتابه (الانتصار)، ويذكر له أسماء الكتب الآتية:

كتاب الجزء يذكره الأشعري ويقتبس منه آراء بعض المتكلمين في الجزء، كتاب في الحركة يذكره الأشعري، كتاب في الرد على الثنوية يذكره البغدادي، كتاب العالم يذكره ابن الراوندي في تشنيعه على النظام، كتابان في التوحيد ، يذكرهما الخياط، و كتاب النكت ذكره ابن أبي الحديد، وكانت مسألة وفاة النظام من المسائل التي دار حولها الخلاف، حيث إن البعض شكك فى معتقده والبعض نفى ذلك، وخلافاً لما قاله الإسفراييني عن الكيفية التي مات بها النظّام، يحدثنا أبو الحسين الخياط قائلاً:

" وقد أخبرني عمدة من أصحابنا أن إبراهيم النظّام رحمه الله قال وهو يجود بنفسه : اللهم إن كنتَ تعلم أني لم أقصر في نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهباً من المذاهب اللطيفة إلا لأشدّ به التوحيد، فما كان منها يخالف التوحيد فأنا بريء منه، اللهم إن كنت تعلم أني كما وصفت فاغفر لي ذنوبي وسهّل علي سكرة الموت! قالوا: فمات من ساعته وهذه هي سبيل أهل الخوف لله والمعرفة به، والله تعالى شاكر لهم ذلك"، وكانت وفاته سنة ٢٣١هـ-٨٤٥ م([1]).

المطلب الثاني: سمات وملامح منهجه الفكري

لاشك أن دراسة منهجه، من الأمور المهمة التي تساعد على فهم طابعه الفكري، والمنطلقات العلمية التي انطلق منها، وآليات البحث عنده ،وكذا الأطر التي تسهم فى بناء هذه العقلية، ومن خلال مطالعتنا لمذهبه هنا وهناك، تبين اعتماده على عدة أطر، تبرز هذا المنهج، وتثبت فى الوقت نفسه، أصالة هذه العقلية الحرة فى سماء الفكر، هذه العقلية الفذة ارتكزت على الملامح الآتية:

---

(١) أبو الحسين الخياط: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ،تحقيق وتعليق: د. نيبرج ، ص ٣٧، ط: (١) مكتبة الدار العربية للكتاب ١٣٤٤هـ – ١٩٢٥م.

أولاً: الشك: الباحث في ثنايا المسائل، والقضايا الفكرية، التي تناولها (النظام) يتبين له اعتماده بصورة رئيسة على الشكّ، كآلية من آليات منهجه، وفي الوقت نفسه، أحد مرتكزاته العلمية، يقول (الجاحظ) مبيناً ذلك على لسانه: " الشاكّ أقرب إليك من الجاحد، ولم يكن يقين قط، حتى كان قبله شكّ، ولم ينتقل أحد عن اعتقاد إلى اعتقاد غيره ،حتى يكون بينهما حال الشك "([1]).

وبنى على ذلك الجاحظ فقال: "تعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً فلولم يكن ذلك ،إلا تعرف التوقف، ثم التثبت، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه، والعوام أقل شكوكاً من الخواص، لأنهم لا يتوقفون في التصديق، ولا يرتابون بأنفسهم، فليس عندهم إلا الإقدام على التصديق المجرد، وألغوا الحال الثالثة من حال الشك "([2])

ثانياً: النزعة الحسية: إن اعتماد النظام على الشك ،لم يقف عند هذا الملمح فقط، ولكن بجانب الشك كان الاعتماد على النزعة المادية الحسية ،التي تعتمد على التجربة، وهذه أصالة علمية تفرد بها عن غيره من المتكلمين ،في عصره، يقول (النظام) :

" النار اسم للحر والضياء، فإذا قالوا: أحرقت أو سخّنت، فإنما الإحراق والتسخين لأحد هذين الجنسين المتداخلين، وهو الحر والضياء"، وكان النظام يزعم: أن نار المصباح لم تأكل شيئاً من الدهن ولم تشربه، وأن النار لا تأكل ولا تشرب ،ولكن الدهنَ ينقصُ على قدر ما يخرج منه من الدخان والنار الكامنين، اللذين كانا فيه، وإذا خرج كل شيء فهو بطلانه ([3]).

---

(١) الجاحظ: الحيوان ١١/٦، ط: (٢) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٤٢هـ.

(٢) الجاحظ: الحيوان ١١/٦

(٣) المرجع السابق ٣٥/٦ ،٣٦.

وهكذا يمضي (النظّام) في تفكيره حتى يصيرَ العالمُ عنده عبارة عن مادة وحركة، يقول (هورتن): "لذلك نجد عند (النظام) مذهب التجدد كما عند (هيراقليط) ومذهب الطفرة "([١]).

وتتجلى هذه النزعة عنده في العديد من الشواهد التي تنقل عنه، وبخاصة أنه لم يكن يصدق كل ما يلقى إليه، فكان يتحدث عن التبخر ،وكيف يصبح مطراً فيقول:" ثم تعود تلك الأمواهُ سيولاً ،تطلب الحدور (الحدور كرسول: مكان ينحدر فيه)،وتطلب القرار، وتجري في أعماق الأرض، حتى تصير إلى ذلك الهواء، فليس يضيع من الماء شيء، ولا يبطل منه شيء، والأعيان قائمة، وكأنه منجنون (الدولاب يسقى عليها) غرف ،من بحر وصبَّ في جدول ،يفيض إلى ذلك النهر"([٢]).

وقوله: "لأمر ما حصر الهواءَ في جوفِ هذا الفلك، ولابد لكل محصورٍ من أن يكون تقلبه وضغطه على قدر الحصار، وكذلك الماء إذا اختنق"([٣]) ألا يعني هذا أن الضغط الداخلي يعادلُ الضغط الخارجي؟

ثالثاً: الجدل: من أهم ما تميز به أنه اهتم بالجانب الجدلي ،ومما يذكر عن قوته في المناظرة ،وقدرته على إفحام الخصم ،أن أستاذه (أبا الهذيل العلاف)، مع علو كعبه في الجدل كان يخشى، (النظام) ،يقول (الجاحظ): " إنه قيل (لأبي الهذيل): إنّك إذا راوغت واعتللت وأنت تكلم (النّظام) (وقمت) فأحسن حالاتك أن يشك الناسُ فيك وفيه! فقال: خمسون شكاً خير من يقين واحد.".([٤]).

---

(١) محمد أبو ريده : إبراهيم النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية ص ٤٨.

(٢) الجاحظ : الحيوان ٥/ ٣٩.

(٣) المرجع السابق ص٤/٤٤.

(٤) محمد أبو ريده: إبراهيم النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية ص ٧٣.

رابعاً: النقد: (النظّام) ذو نزعة نقدية في تفكيره، فهو يتناول ما يصل إليه علمه، ويزنه بميزان العقل، وعلى هذا الأساس يقبله ،أو يرفضه، يصحح الحديث أو يزيفه، ويتأول نصوص القرآن الكريم، وهو في كل أبحاثه يحكم العقل، فهو أداته، ولا يعتمد على النص بقدر ما يعتمد على العقل، وتتجلى النزعة النقدية عنده في العديد من المسائل التي من أهمها تفسير القرآن الكريم، وموقفه من الحديث الشريف، وخبر الآحاد، وغير ذلك من المسائل التي أبرزت عنده هذا الجانب.

وبعد تبيان هذا المنهج أقول: إن النظام سبق القدامى والمحدثين بهذا المنهج ، فبالنسبة للشك فقد كان منطلقاً لتأسيس منهجه على أسس يقينية متينة البنيان ،كما أنه سبق العلم الحديث ،باستخدامه المنهج التجريبي القائم على الملاحظة ،والتجربة ،وفرض الفروض ،واستنباط النتائج ، وكان هذا الدافع لهذا المنهج ،هو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة ،وما فيهما من توجيهات العقول إلى الأخذ بما فيهما، وإن كان يؤخذ عليه إسرافه في استخدام العقل ،فيما لا مجال فيه ، إلا أن ذلك إذا قيس بحسنات منهجه فإنها تفوق ذلك بكثير.

المبحث الأول: حول مصطلحات البحث

المطلب الأول: الرأي لغة واصطلاحاً

الرأي لغة: مصدر رأى الشيء يراه رأيا ورؤية، يقول ابن فارس: (رأي) الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة، فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآراء، رأى فلان الشيء، وراءه، وهو مقلوب، والرئي: ما رأت العين من حال حسنة، والعرب تقول: ريته في معنى رأيته وتراءى القوم، إذا رأى بعضهم بعضا، (١).

و الرُّؤْيَةُ بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين و رَأَى يرى رَأْيا و رُؤْيةً و رَاءَةً مثل راعة و الرَّأْيُ معروف وجمعه آراءٌ و أَرْءَاءٌ أيضا مقلوب منه و رَئِيٌّ من الجن أي مس ويقال رَأَى في الفقه رَأْياً وقد تركت العرب الهمز في مستقبله لكثرته في كلامهم وربما احتاجت إلى همزه فهمزته قال الشاعر: ومن يتمل العيش يَرْءَ ويسمع، وقال آخر: أُرِي عيني ما لم ترأَياهُ كلانا عالم بالترهات، وربما جاء ماضيه بغير همز، قال الشاعر: صاح هل رأيت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب – ويروى في العلاب، وإذا أمرت منه على الأصل قلت إرء، وعلى الحذف ره، و أرَيْتُه الشيء فرآهُ وأصله أرأَيْتُهُ و ارْتَآهُ وهو افتعل من الرأي والتدبير (٢).

وفي الاصطلاح: يطلق العلماء مصطلح الرأي ويريدون به عدة معان من أهمها ما يأتي:

١- القياس: يقول السرخسي:" والرأي لا يصلح لنصب الحكم ابتداء؛ وإنما هو لتعديه حكم النص إلى نظيره مما لا نص فيه"([3]).

٢- إعمال الفكر لاستخراج مآل فعل من الأفعال ([1]).

---

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة٢/٤٧٢

(٢) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح:١/٢٧٦

(٣) السرخسي: الأصول ٢/٩٠

٣- الاجتهاد: يقول ابن القيم في تعريفه:" ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات"([2]).

وبناء عليه فإنه يمكن تعريف الرأي بأنه: ما يرجح في القلب بعد فكر وتأمل لمعرفة وجه الصواب واستخراج حال العاقبة.

المطلب الثاني: القرآن لغة واصطلاحاً

القرآن في اللغة: "قرأ": تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:١٧-١٩]، أي قراءته، فهو مصدر على وزن "فُعلان" بالضم: كالغفران والشكران، تقول: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنًا، بمعنى واحد؛ سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر(٣).

ومما يدل على أنه مأخوذ من قرأ بمعنى تلا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ [يونس: ٦١]وقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]،وقوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وغيرها من الآيات.

وفي الحديث عن سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ -ﷺ-جَدَّهُ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ يَسِّرَا ، وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا ، وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا فَقَالَ أَبُو مُوسَى يَا

---

(١) ينظر: أبو يعلي الفراء: العدة في أصول الفقه١/١٨٤

(٢) ابن القيم: إعلام الموقعين١/٥٣

(٣) ينظر: ابن منظور: لسان العرب(١/١٢٨).

نَبِيَّ اللهِ إِنَّ أَرْضَنَا بِهَا شَرَابٌ مِنَ الشَّعِيرِ الْمِزْرُ وَشَرَابٌ مِنَ الْعَسَلِ الْبِتْعُ (١) فَقَالَ كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ فَانْطَلَقَا فَقَالَ مُعَاذٌ لأَبِي مُوسَى كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَالَ قَائِمًا وَقَاعِدًا ، وَعَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا (٢) قَالَ أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي وَضَرَبَ فُسْطَاطًا فَجَعَلاَ يَتَزَاوَرَانِ فَزَارَ مُعَاذٌ أَبَا مُوسَى فَإِذَا رَجُلٌ مُوثَقٌ فَقَالَ مَا هَذَا فَقَالَ أَبُو مُوسَى يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ فَقَالَ مُعَاذٌ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ (٣).

والقرآن في الاصطلاح: هو اللفظ العربي المعجز، الموحى به إلى محمد-ﷺ- بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

ويشتمل هذا التعريف على احترازات وقيود كما يلي:

(كلام الله): قيد يخرج به كلام غيره –سبحانه–، من ملك وجان وبشر.

(المنزل): قيد يخرج به كلام الله الذي استأثر به–سبحانه–.

(على نبيه محمد –ﷺ–): قيد يخرج به ما نزل على غيره من الأنبياء.

(المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته): قيد خرج به الأحاديث القدسية؛ فإنها ليست معجزة، ولا متعبداً بتلاوتها .

---

(١) نبيذ العسل، وهو خمر أهل اليمن والتاء في البتع تسكن وتحرك بالفتح، ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر٤/٣٢٤).

(٢) قال ابن الأثير:" يعني قراءة القرآن؛ أي: لا أقرأ وردي منه دفعة واحدة لكن أقرؤه شيئا بعد شيء في ليلي ونهاري مأخوذ من فواق الناقة؛ لأنها تحلب ثم تراح حتى تدر ثم تحلب " ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر٣/٤٨٠).

(٣)صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي « باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم٤٣٤٥.

(المنقول بالتواتر): قيد خرج به مالم يتواتر كالذي نسخت تلاوته، أو ما نقل ولم يتواتر نقله.

(المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس): قيد ينفي عن القرآن دعوى الزيادة أو النقصان(١) .

وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق، إما لأنه وضع علمًا مرتجلًا على الكلام المنزل على النبي -ﷺ-وليس مشتقًا من "قرأ"، وإما لأنه من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، أو من القرائن لأن آياته يشبه بعضها بعضًا فالنون أصلية، وهذا رأي مرجوح، والصواب الأول.

والراجح في لفظ القرآن أنّه مشتق سواء قلنا بالوصف أو المصدرية وأصل اشتقاقه مادة:

(ق ر أ) التي من أهمّ معانيها التلاوة والجمع، ثمّ غلب على كلام الله عزّ وجلّ المتواتر المجموع بين دفتي المصحف حتى صار كالعَلَم عليه، إذا أطلق اللفظ توجّه إليه دون سواه.

و مسألة الهمز من عدمه، فالأمر متعلق والله أعلم بلغات العرب؛ فبعضهم يحقق الهمز على الأصل وبعضهم الآخر يسهّله للتخفيف، ونقل الهمز في لفظ القرآن الكريم من هذا التسهيل وهو لغة الحجاز والشافعي عليه رحمة الله مكي حجازيّ كما هو معلوم...

والقرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حدًّا حقيقيًّا، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودًا في الذهن أو مُشاهدًا بالحس كأن تشير إليه مكتوبًا في المصحف أو مقروءًا باللسان(١)

---

(١) ينظر: مصطفى ديب البغا: الواضح في علوم القرآن (١/١٥)، البوطي: من روائع القرآن(١/٢٥) الزرقاني: مناهل العرفان(١/١٤-١٧)، القطان: مباحث في علوم القرآن:(١٦-١٧) محمد أبي شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم (٢٠) الرومي: دراسات في علوم القرآن:(٢١-٢٢) علوم القرآن من خلال: محمد حقي: مقدمات التفاسير:(١/٤٢).

وذهب الإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ) إلى أن لفظ القرآن ليس مشتقاً ولا مهموزاً، وأنه قد ارتجل وجعل علماً للكتاب المنزل، كما أطلق اسم التوراة على كتاب موسى، والإنجيل على كتاب عيسى عليهما السلام(٢).

(١) ينظر: القطان: مباحث في علوم القرآن(١/١٦).

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن٢/٢٧٩

المبحث الثاني: إعجاز القرآن(١) عند النّظام

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز القرآني لغة واصطلاحاً

مصطلح (إعجاز القرآن)-كما يبدو من صياغته-مركب إضافي، طرفاه كلمتا: (إعجاز) و(القرآن) ولمعرفة المراد بهذا المركب يلزم تحديد معنى طرفه الأول وهو كلمة "الإعجاز" ثم معرفة المراد بالمصطلح كله عند إضافة هذه الكلمة إلى (القرآن)

الإعجاز في اللغة: قال ابن منظور: العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيهما، ورجل عجز وعجز عاجز وامرأة عاجز عاجزة عن الشيء ، عن ابن الأعرابي، وعجز فلان رأي فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز، ويقال أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا، والمعجزة العجز، قال سيبويه: هو المعجز، والمعجز بالكسر على النادر، والفتح على القياس لأنه مصدر.

والعجز الضعف تقول عجزت عن كذا أعجز، وفي حديث عمر "وَلَا تَلَبَّثُوا بِدَارِ مَعْجَزَةٍ"(٢) أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش وقيل بالثغر مع العيال.

والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز عدم القدرة، وفي الحديث « كُلُّ شيء بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ »(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ [الحج: ٥١]،قال الزجاج معناه ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم

---

(١) لقد عد بعض العلماء إعجاز القرآن من العلوم القرآنية، وقيل هو أحد علوم التفسير، قال الحاج خليفة:" علم إعجاز القرآن ذكره المولى أبو الخير من جملة فروع التفسير، وقال: صنف فيه جماعة، فذكر منهم الخطابي والرماني والرازي"(كشف الظنون١/١٢٠، دار العلوم الحديثة بيروت).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الأدب، باب بأبي يحيي ٣٦/١،تحقيق: د. محمد رضا القهوجي ط(١): دار البشائر الإسلامية – لبنان ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب كل شيء بقدر،٥١/٨، حديث رقم ٦٩٢٢.

لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار وقيل في التفسير معاجزين معاندين وهو راجع إلى الأول وقرئت معجزين وتأويلها أنهم يعجزون من اتبع النبي -ﷺ-ويثبطونهم عنه (١)

وقال ابن فارس: العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء.

فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزا ، فهو عاجز، أي ضعيف، وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه، ويقولون: "المرء يعجز لا محالة "، ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، ولن يعجز لله تعالى شيء، أي لا يعجز الله تعالى عنه متى شاء، وفي القرآن: ﴿لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ﴾[الجن: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [العنكبوت ٢٢، الشورى ٣١].

ويقولون: عجز بفتح الجيم، وسمعت علي بن إبراهيم القطان يقول: سمعت ثعلبا يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: لا يقال عجز إلا إذا عظمت عجيزته.

وأما الأصل الآخر فالعجز: مؤخر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عجز الأمر، وأعجاز الأمور، ويقولون: "لا تدبروا أعجاز أمور ولت صدورها"، قال: والعجيزة: عجيزة المرأة خاصة إذا كانت ضخمة، يقال امرأة عجزاء، والجمع عجيزات كذلك، قال الخليل: ولا يقال عجائز، كراهة الالتباس (٢).
وعلى هذا فمادة العجز تطلق ويراد بها الضعف ومؤخر الشيء، وهي في ذات الوقت ضد القدرة، على النهوض بالأمر، وكذلك القعود عما يجب فعله، ومنه المعجزة(٣).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٣٦٩/٥

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة٢٣٢/٤

(٣) المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم(راجع: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن٣/٤)، ويقول القرطبي: "ا لمعجزة واحدة معجزات الأنبياء

والإعجاز: إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير(١).

الإعجاز اصطلاحاً: "والإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"(٢).

يقول صاحب (مناهل العرفان): "إعجاز القرآن مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به: والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به"(٣)(١).

الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة. فالشرط الأول من شروطها أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه كفلق البحر= =وانشقاق القمر، وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر. والشرط الثاني هو أن تخرق العادة. وإنما وجب اشتراط ذلك لأنه لو قال المدعي للرسالة: آيتي مجيء الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها، لم يكن فيما ادعا معجزة، والشرط الثالث هو أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل، فيقول: آيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتا أو يحرك الأرض عند قولي لها، تزلزلي، فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدى به. الشرط الرابع هو أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له، والشرط الخامس من شروط المعجزة ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدى على وجه المعارضة، فإن تم الأمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده، فإن أقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبيا، وخرج عن كونه معجزا ولم يدل على صدقه، ولهذا قال المولى سبحانه:" فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين" وقال:" أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات". كأنه يقول: إن ادعيتم أن هذا القرآن من نظم محمد -ﷺ-وعمله فاعملوا عشر سور من جنس نظمه، فإذا عجزتم بأسركم عن ذلك فاعلموا أنه ليس من نظمه ولا من عمله. (القرطبي: الجامع لأحكام القرآن١/١٧-٧٢بتصرف)

(١) الراغب الأصفهاني: بصائر ذوي التمييز ١/٦٥

(٢) الجرجاني: التعريفات ص ٤٧

(٣) مناهل العرفان٢/٢٢٧

وقيل هو: جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزا عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي: فاتني، وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك وقال الليث :أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه(٢).

وقيل هو: إظهار صدق النبي –ﷺ–في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة –وهي القرآن– وعجز الأجيال بعدهم(٣).

وقيل للإعجاز ثَمَّةَ تعريفان(٤):

أحدهما : هو المعتمد لدى جمهور العلماء والباحثين وهو : أن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا العلو في بلاغته أو تشريعه أو مغَيَّباته أو غير ذلك .

ثانيهما : تفرد به النظام (ت ٢٣١هـ) ثم تبعه في ذلك بعض الناس من فرقته وجماعته، فالإعجاز عنده هو: أن الله قد صرف قدرات عباده وسلب همتهم وحبس ألسنتهم عن الإتيان بمثله .

و إذا كان النظام أول من جاهر بالقول بالصرفة، إلا أن ابن الراوندي (ت ٢٤٥هـ) في كتابه (فضيحة المعتزلة) الذي رد به على كتاب الجاحظ (فضيلة المعتزلة) هو أول من

---

(١) هناك بعض التعريفان التي قصرت الإعجاز على وجه أو أكثر من وجوهه، منها: ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح لا إخبار عن المغيبات، ولا عدم التناقض والاختلاف، ولا الأسلوب الخاص ولا صرف العقول عن المعارضة...."(الكليات: ص ١٤٩).

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٥/٣٧٠

(٣) القطان: مباحث في علوم القرآن ص ٢٦٥

(٤) د. محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل،ص١٢٥ بتصرف مكتبة الفارابي– دمشق.

أثار مذهب الصرفة المشهور ونَسَبَهُ إلى النظام ، وذلك ما أورده أبو الحسين الخياط في كتابه(الانتصار) الذي ينقض فيه كتاب ابن الراوندي (فضيحة المعتزلة)(١).

والتعريف الأول يجعل مصدر الإعجاز علو منزلة القرآن عن مستوى الطوق البشري، والتعريف الثاني يجعل المصدر حبس القدرات وصرف الهمم عن معارضته وتقليده، فالمنع هو المعجز وليس القرآن .

قال الزركشي في البرهان: "ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز، واختلفوا في إعجازه فقيل: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وأن العرب كلفت في ذلك ما لا تطيق، وفيه وقع عجزها، والجمهور على أنه إنما وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ، فإذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا يصح التحدي بشيء مع جهل المخاطب بالجهة التي وقع بها التحدي(٢).

ثم ذكر بعد ذلك أن الإعجاز في القرآن العظيم إما أن يعني بالنسبة إلى ذاته أو إلى عوارضه من الحركات والتأليف، أو إلى مدلوله، أو إلى المجموع، أو إلى أمر خارج عن ذلك، لا جائز أن يكون الإعجاز حصل من جهة ذوات الكلم المفردة فقط؛ لأن العرب قاطبة كانوا يأتون بها، ولا جائز أن يكون الإعجاز وقع بالنسبة إلى العوارض من الحركات والتأليف فقط ...

ولو كان الإعجاز في الإعراب والتأليف المجرد لم يعجز صغيرهم عن تأليف ألفاظ معربة فضلا عن كبيرهم، ولا جائز أن يكون بالنسبة إلى المعاني فقط، لأنها ليست من صنيع البشر، وليس لهم قدرة على إظهارها، من غير ما يدل عليها، ولا جائز أن تكون إلى

---

(١) قضية الإعجاز القرآني صـ١٤٣.

(٢) ينظر: الزركشي: البرهان٢/٩٢

المجموع لأنا قد بينا بطلانه، بالنسبة إلى كل واحد، فيتعين أن يكون الإعجاز لأمر خارج عن ذلك(١)

يقول الشيخ محمود شاكر: (إعجاز القرآن) كما يدل عليه لفظه وتاريخه، وهو دليل النبي -ﷺ- على صدق نبوته، وعلى أنه رسول الله يوحى إليه هذا القرآن، وأن النبي -ﷺ- كان يعرف (إعجاز القرآن) من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب، وأن التحدي الذي تضمنته آيات التحدي، من نحو قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[هود ١١/ ١٣ و ١٤].

وقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء١٧/ ٨٨].

إنما هو تحدٍّ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍّ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان.

ثانيهما: أن إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن تنزيل من عند الله، كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه، لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز، ولا أظن أن قائلاً يستطيع أن يقول إن التوراة والإنجيل

---

(١) ينظر: الزركشي: البرهان٢/٩٣

والزبور كتب معجزة، بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن، من أجل أنها كتب منزلة من عند الله.

ومن البين أن العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله، ودليل صدق الوحي الذي يأتيه، بمجرد سماع القرآن نفسه، لا بما يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة في توحيد الله، أو تصديق نبوته، ولا بمعجزة كمعجزات إخوانه من الأنبياء مما آمن على مثله البشر، وقد بيّن الله في غير آية من كتابه أن سماع القرآن يقتضيهم إدراك مباينته لكلامهم، وأنه ليس من كلام بشر، بل هو كلام رب العالمين وبهذا جاء الأمر في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة ٩/ ٦].

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن(١).

إذن إعجاز القرآن هو: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن، وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التحدي(٢).

وكلام الله عز وجل معجزٌ، والدليل على إعجازه أنه تعالى تحدى العرب على أن يأتوا بسورةٍ من مثله فعجزوا عن ذلك مع فصاحتهم وبلاغتهم، ولو قدروا على ذلك لما عدلوا عنه إلى الحرب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

---

(١) مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية ، المقدمة للشيخ محمود شاكر فصل في إعجاز القرآن ص ٢٥-٢٦

(٢) محمد السيد: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص ١٠

المطلب الثاني: وجوه الإعجاز القرآني([1]) والعناية به([2])

(١) عني العلماء بهذه المسألة عناية كبيرة، وكان لكل وجهة فيما ذهب إليه، يقول الطاهر بن عاشور:" إن العناية بما نحن بصدده من بيان وجوه إعجاز القرآن إنما نبعت من مختزن أصل كبير من أصول الإسلام، وهو كونه المعجزة الكبرى للنبي -ﷺ-، وكونه المعجزة الباقية:(الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير١/١٠٢)،و العناية بعلم (إعجاز القرآن) إجمالا وتفصيلا من أكثر الأمور ضرورة، وهو ما نبه إليه العلماء قديما وحديثا، يقول الباقلاني:" ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه، وأولى ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قواما، ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما، وعلى صدق نبيهم -ﷺ-برهانا، ولمعجزته ثبتا وحجة، لا سيما والجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستول على الآفاق، والعلم إلى عفاء ودروس" ثم يقول:" وقد كان يجوز ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن، وتكلم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه، فهو أحق بكثير مما صنفوا فيه: من القول في الجزء، ودقيق الكلام في الأغراض، وكثير من بديع الإعراب، وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس والاشتغال به أوجب"(الباقلاني: إعجاز القرآن:٢٢، ٢٣)، و الكلام في إعجاز القرآن واجب لا يسع الأمة تركه، قال السيد محمد رشيد رضا:" فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعا، وهو من فروض الكفاية، وقد تكلم فيه المفسرون، وبلغاء الأدباء والمتأنقون"(راجع: الرافعي: إعجاز القرآن، ص ٢٠ المقدمة للسيد محمد رشيد رضا)، وقول الزركشي: " وقد اعتنى بذلك الأئمة وأفردوه بالتصنيف منهم القاضي أبو بكر بن الباقلاني قال ابن العربي: ولم يصنف مثله وكتاب الخطابي والرماني والبرهان لعزيزي وغيرهم وهو علم جليل عظيم القدر لأن نبوة النبي -ﷺ-معجزتها الباقية القرآن وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم: ١]وقال سبحانه: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة: ٦] فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا تكون حجة إلا وهي معجزة وقال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [العنكبوت: ٥٠، ٥١] (راجع: الزركشي: البرهان٢/٩٠)، ويقول الخطابي: " وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان(راجع: الخطابي: ثلاث رسائل في بيان إعجاز القرآن ص ٣٦).

(٢) جدير بالذكر أن مسألة إعجاز القرآن الكريم لم تنشأ بين ليلة وضحاها، ولكن لما بدأ العرب في ترجمة الكتب في العصر العباسي الأول عن الفارسية والهندية واليونانية عرف الناس هذه الأفكار، فتلقف هذا القول المغرمون بكل وافد من الأفكار ومستغرب من الأقوال مهما كان شذوذه،(راجع: محمد بن عبد العزيز

لم تكن مسألة إعجاز القرآن[١] محل اتفاق بين العلماء والباحثين[٢]، في كل مكان وزمان، فثمة آراء في الجهة، أو الجهات التي كان بها القرآن معجزاً، وليس ذلك شأن معجزات سائر الأنبياء؛ إذ كل معجزة كانت تنادي بوضوح معلنةً صفتها التي أعجزت بها، وتشير بصراحة إلى الجهة التي جاء منها الإعجاز، فيعلم الناس حينذاك ماذا في المعجزة من دلائل الإعجاز، وما فيها من القوة الظاهرة والظاهرة التي لا يتسنى لهم

العواجي: إعجاز القرآن الكريم عند ابن تيمية ص ٩٨،تقديم حكمت بن بشير ياسين، ط:١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض سنة ١٣٢٧هـ) ثم راجت هذه الفكرة بين من أعجبوا بالفلسفة، وأول من ثبت أنه أظهر هذه المقولة بين الناس النظام، فهو أول من جاهر بها وأعلنها ودعا إليها.(راجع: الشهرستاني: الملل والنحل١/٥٦).

(١) إن مسألة البحث في الإعجاز القرآني لم تنل عناية في حياة النبي –ﷺ–والصحابة رضوان الله عليهم، فقد كانوا" لا يطيلون النظر في دراسة مسائل الدين، ولا يثيرون قضاياه المتشابهة التي تبعث على الاختلاف في الرأي...وأمر المسلمون بعدم الخوض في بعض الأمور التي تثير الشبهات وتضعف الإيمان بإثارتها الشك عن طريق التفكير فيها فأطاعوا الأمر راغبين"(راجع: نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ص٣٥، مؤسسة الرسالة بيروت،ط٢، سنة١٤٠٠هـ–١٩٨٠م)، لكنه قد ظهرت "أحكام نقدية عامة مثل قول عمر بن الخطاب مبهورا ببلاغة القرآن(ما أحسن هذا الكلام وأكرمه) هذه الأحكام التي استحالت على أيدي البلاغيين إلى قواعد بلاغية قصد منها تكوين الذوق الأدبي الذي يستطيع أن يدرك وجه إعجاز القرآن البلاغي، ويخلق الكلام الجيد ويفاضل بين كلام وكلام"(راجع: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ص ٧٩٦، ط١، عالم الكتب بيروت، سنة ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

(٢) منطلق الاختلاف أن كل فريق ذهب إلى تلمس الإعجاز في جانب من جوانب التميز والتفوق في القرآن، فمنهم من وجد الإعجاز في البلاغة والفصاحة، ومنهم من وجد الإعجاز في الإخبار عن أمور الغيب، مما لم يكن معروفا عند العرب، ومنهم من وجد الإعجاز في قصص الأولين، ومنهم من رأى في النظم والتأليف والتركيب والإحكام البياني مظهرا من مظاهر الإعجاز، وهذا التعدد في الرأي دليل على الإعجاز، فالقرآن الذي وجد فيه البلاغي قمة في الفصاحة، ووجد فيه الفقيه تشريعا رائع الأحكام، ووجد فيه الفيلسوف رؤية شمولية للكون والحياة والإنسان، لا بد إلا أن يكون معجزا في كل شيء، فالإعجاز إعجاز تحد، وهو مطلق ولا يتوقف عند حدود اللغة والبيان والفصاحة والبلاغة ..(راجع: محمد فاروق النبهان المدخل إلى علوم القرآنص٢٢١)

القيام بها(١)،وفي هذا الصدد يطرح الباقلاني سؤالاً مفاده: لماذا اختلف أهل الله في وجوه إعجازه؟

فإن قيل: لو كان معجزاً لم يختلف أهل الملة في وجه إعجازه.. قيل: قد يثبت الشيء دليلاً، وإن اختلفوا في وجه دلالة البرهان، كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق....فأما المخالفون فإنه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام الله، لأن مذهبهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عزَّ وجلَّ في كونه معجزاً، لأنه إن خصه بقدر من العلم لم تجر العادة بمثله، أمكنه أن يأتي بما له هذه الرتبة، وكان متعذراً على غيره لفقد علمه بكيفية النظم. وليس القوم بعاجزين عن الكلام، ولا عن النظم والتأليف"(٢).

أما وجوه إعجاز القرآن فلقد كانت من القضايا التي أدلى فيها العلماء قديما وحديثا بآرائهم فيها، وتعد هذه الآراء مكملة بعضها للبعض الآخر، قال ابن سراقة:

"اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره فقال قوم: هو الإيجاز مع البلاغة وقال آخرون: هو البيان والفصاحة...."(٣)، وهذه جملة من وجوه إعجاز القرآن الكريم نعرضها فيما يأتي:

أولاً: أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به؛ لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنا، وعلت مركباته معنى، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى واختاره ابن الزملكاني في البرهان(٤).

---

(١) محمد الصادق عرجون: القرآن العظيم هدايته وإعجازه، ص١٥٣القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٦م.

(٢) الباقلاني: إعجاز القرآن ص٢١٢

(٣) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن٤/١٦

(٤) الزركشي: البرهان٢/١٠١

ثانياً: ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى:﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦] وقوله في أهل بدر: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥].

ثالثاً: ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحاضرها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

رابعاً: إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] ([١]).

خامساً: وصححه ابن عطية([٢]) وقال-: إنه الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه وأن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، ويتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم بالضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك، وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النطق يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فلما جاءهم النبي -ﷺ-صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه([٣]).

---

(١) الزركشي: البرهان١٠٢/٢

(٢) أبو بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، نشأ في أسرة علمية، وهو صاحب التفسير المشهور، اختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة ٥٤٦هـ، وقيل سنة ٥٤٢هـ، والأرجح أن وفاته سنة ٥٤١هـ وهذا ما أكده أبو حيان الأندلسي نقلا عن القاضي ابن أبي حجرة (ت٥٩٩هـ) أحد تلاميذ ابن عطية(البحر المحيط ١٠/١،وينظر ترجمته في الديباج المذهب٥٧/٢، نفح الطيب٣٠٧/٩، السيوطي: طبقات المفسرين ص ٦٠.

(٣) ابن عطية : المحرر الوجيز ٣٨/١

سادساً: أن وجه الإعجاز الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب، وغير ذلك مقترنا بالتحدي، واختاره الإمام فخر الدين، وهو قريب مما سبق، وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: ٨٨] والمراد: بمثل نظمه بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]

سابعاً: ما فيه من النظم والتأليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم، واختاره القاضي أبو بكر قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته([1]).

ثامناً: وهو قول حازم في منهاج البلغاء: إن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه، استمرارا لا توجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر([2]).

تاسعاً: قال الخطابي في كتابه: (بيان إعجاز القرآن) وإليه ذهب الأكثرون من علماء النظر: أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة؛ لكن لما صعب عليهم تفصيلها، صغوا فيه إلىٰ حكم الذوق والقبول عند النفس قال: والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجة البيان متفاوتة ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز الطلق الرسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم([3]).

عاشراً: وهو قول أهل التحقيق: إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده، فإنه جمع كله، فلا معنىٰ لنسبته إلىٰ واحد منها بمفرده مع اشتماله علىٰ الجميع؛ بل وغير ذلك مما لم يسبق، فمنها الروعة التي له في قلوب السامعين

---

(١) الباقلاني: إعجاز القرآن ص ٢١

(٢) أبو حازم يعلي: منهاج البلغاء ص٣٢

(٣) الخطابي : ثلاث رسائل في بيان إعجاز القرآن ص ٥٤

وأسماعهم، سواء المقرين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمنا به بداخله روعة في أول سماعه وخشية ثم لا يزال يجد في قلبه([1]).

وقال الزركشي في البرهان: "أجمع أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده فإنه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقر والجاحد ومنها أنه لم يزل ولا يزال غضا طريا في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين ومنها جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا في كلام البشر ومنها جعله آخر الكتب غنيا عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] "([2]).

المطلب الثالث: النّظّام وإعجاز القرآن([3])

---

(١) وهناك وجوه للإعجاز ذكرها العلماء ولم نتطرق إليها لضيق المقام، وهي: كون القرآن محفوظا من الزيادة والنقصان على مر الدهور والأزمان، وكذلك تيسير حفظه، وشموله على جميع البراهين والأدلة على توحيد الألوهية والربوبية، و إعجاز القرآن في أسمائه وأوصافه، إعجاز القرآن في حروف المعجم.

(٢) الزركشي: البرهان١٠٣/٢

(٣) من المهم أن نقرر أنَّ نصَّ كلام " النظام" في هذا ليس بين أيدينا، وإن نسبه إليه جمع من أهل العلم، وكثير من تراث المعتزلة في (إعجاز القرآن الكريم) فقدته الأمة على الرغم من أنهم كانوا أصحاب الكلمة المسموعة المنصورة زمن(المأمون) ومن بعده حتى جاء " المتوكل" فأخمد نارهم وكسر شوكتهم ،وأعاد لأهل السنة قدرهم، ولعل المعارضين للمعتزلة، ولاسيما الذين اكتووا بطاغوتهم زمن علوهم أرادوا حماية الأمة من ضلالهم الذي أودعوه تراثهم، فتخلصوا منه، لعله يكون، وإذا ما نظرنا في مقدمة كتاب(الملل والنحل) للشهرستاني: (٤٧٩–٥٤٨هـ) رأيناه يقول:" وشرطي على نفسي أنْ أوردَ مذهب كلِّ فرقةٍ على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصبٍ لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعيّنَ حقَّه من باطله، وإنْ كان لا يخفى على الأفهام الذكيةِ في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ، ونفحات الباطل "(الشهرستاني: الملل والنحل١٤/١) وهو في ذكره مقالات المعتزلة وغيرهم لا يذكر– غالبا– المصدر الذي ينقل منه ، ومن الحيف العلمي نقد مقالات الرجال بروايات لم تستمد يقينا من أسفارهم ، ولاسيما إذا ما كانت الرواة من غير

إذا كان المسلمون متفقين على إعجاز القرآن الكريم، فإن المتكلمين بحثوا في وجه هذا الإعجاز واختلفوا فيه(١)، وقد ذكر الإيجي([٢]) مختلف المذاهب في ذلك، فمن المتكلمين قوم ذهبوا إلى أن وجه الإعجاز هو ما اشتمل عليه القرآن من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعه وفواصله، وعلى هذا الرأي بعض المعتزلة إلا النظام وهشاما الفوطي وعباد بن سليمان([٣])، يقول أبو الحسن الأشعري([٤]):

مذهبهم، يقول " الخياط" مقررًا أصلا علميا حميدًا: "إن قول الرجل إنما يعرف بحكاية أصحابه عنه أو بكتبه وإذا ما كنا لم نستطع العلم بكتاب للنظام يقرر فيه رأيه في إعجاز القرآن الكريم ، فليس لنا إلا أن نستمع إلى مقالة أصحابه في حكايتهم عنه"(الخياط: الانتصار ص٢٢).

(١) لابد من عرض مذاهب المتكلمين بإيجاز في وجوه إعجاز القرآن الكريم، حيث إن هذا الأمر يعد أحد المنطلقات التي انطلق منها النظام، في آرائه نحو هذه المسألة وما تولد عنها من أفكار.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظاما. وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا. من تصانيفه (المواقف – ط) في علم الكلام، و (العقائد العضدية – ط) توفي سنة ١٣٥٥م(راجع الزركلي: الأعلام٣/٢٩٥، وينظر ترجمته في الدرر الكامنة ٢: ٤٢٩ والبدر الطالع ١: ٣٢٦ وبغية الوعاة ٢: ٧٥ وهدية العارفين ١: ٥٢٧ ومفتاح السعادة ١: ١٦٩ وإيضاح المكنون ١: ٢٦٤ وروضات الجنات ٤٣١ وطبقات الشافعية ٦: ١٠٨ والأعلام ٤: ٦٦ ومعجم المؤلفين ٥: ١١٩ وشذرات الذهب ٦: ١٧٤ ومعجم المطبوعات ١٣٣١.

(٣) عباد بن سليمان الصيمري، من كبار المعتزلة وبينه وبين عبد الله بن سعيد بن كلاب مناظرة وكان في أيام المأمون، وهو الذي زعم أن بين اللفظ والمعنى طبيعة مناسبة فردوا عليه ذلك وكان أخذ عن هشام بن عَمْرو وكان أبو علي الجبائي يصفه بالحذق قاله النديم في الفهرست، وقال ابن حزم في "الملل والنحل" كان يقول: إن الله لم يخلق الكفر، وَلا الإيمان(راجع: ابن حجر: لسان الميزان٤/٣٩٨).

(٤) أبو الحسن الأشعري (٢) (٣٢٤ هـ) الإمام صاحب التصانيف الكثيرة في الرد على الملحدة وسائر أصناف المبتدعة، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل أبو الحسن الأشعر، من تصانيفه في الرد على الملاحدة: الفصول في الرد على الملحدين وهو اثنا عشر كتاباً، كتاب جمل مقالات الملحدين، كتاب الفنون في الرد على الملحدين(السير ١٥/ ٨٧ – ٨٨،البغدادي، تاريخ بغداد١٣/٢٦٠)

" واختلفت المعتزلة هل يجوز أن يلفظ القرآن أم لا: فقال قائلون: يلفظ به كما يقرأ، وقال الإسكافي: لا يجوز ذلك بل يقرأ القرآن ولا يلفظ به، واختلفوا في نظم القرآن هل هو معجز أم لا؛ على ثلاثة أقاويل:

فقالت المعتزلة إلا النظام وهشاماً الفوطي وعباد بن سليمان: تأليف القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم وأنه علم لرسول الله -ﷺ-وقال النظام: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"(١).

وذهبت طائفة إلى أن وجه الإعجاز كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها، وعليه الجاحظ(٢).

وقال الباقلاني:" وجه إعجاز القرآن هو مجموع الأمرين: النظم، وكونه في أعلى درجات البلاغة"(٣).

وقيل هو إخباره عن الغائب نحو قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[الروم: ٣]، وقال قوم: هو عدم اختلافه وتناقضه، مع ما فيه من الطول، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]،، وذهبت

---

(١) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين١/٢٧١

(٢) الجَاحِظُ أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بنُ بَحْرٍ العَلاَّمَةُ، المُتَبَحِّرُ، ذُوْ الفُنُوْنَ، أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بنُ بَحْرِ بنِ مَحْبُوْبٍ البَصْرِيُّ، المُعْتَزِلِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ.

أَخَذَ عَنِ: النَّظَّامِ. وَرَوَى عَنْ: أَبِي يُوْسُفَ القَاضِي، وثُمَامَةَ بنِ أَشْرَسَ توفي سنة، ينظر في ترجمته: الفهرست ٢٠٨، ٢١٢، تاريخ بغداد ١٢ / ٢١٢، ٢٢٠، نزهة الالباء: ١٣٢، أمالي المرتضى ١ / ١٩٤، معجم الأدباء ١٦ / ٧٤، ١١٤، وفيات الأعيان ٣ / ٤٧٠، ٤٧٥، ميزان الاعتدال ٣ / ٢٤٧، العبر ١ / ٤٥٦، سرح العيون: ١٣٦، البداية والنهاية ١١ / ١٩، ٢٠، لسان الميزان ٤ / ٣٥٥، ٣٥٧، بغية الوعاة: ٢٦٥، شذرات الذهب ٢ / ١٢١، ١٢٢.

(٣) الباقلاني: إعجاز القرآن ص ٣٢

طائفة إلى أن إعجازه بالصرفة، واختلف هؤلاء في وجهها، فذهب أبو إسحاق من الأشاعرة والنظام من المعتزلة، إلى أن الله تعالى صرفهم بأن صرف دواعيهم إلى المعارضة مع توفر الأسباب الداعية إلى المعارضة، خصوصا بعد التحدي والتبكيت بالعجز، وقال الشريف المرتضى من الشيعة: إن الله صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة([١]).

هذه جملة الآراء في وجوه إعجاز القرآن الكريم التي ذكرها الإيجي، ويمكن أن نزيد عليه رأي الأشعري الذي يقول فيه:

" إن القرآن معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة، إذ خير العرب بين السيف والمعارضة، فاختاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة، ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعي، وهو المنع من المعتاد، ومن جهة الإخبار عن الغيب" ([٢]).

وقال عنه القاضي عياض في الشفا([٣]): " وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه، فأكثرهم يقول إنه ما جمع في قوته جزالته، ونصاعة ألفاظه...لا يصح أن يكون في مقدور البشر..، وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور

(١) الإيجي: المواقف، تحقيق: الجرجاني ٤٣٤/١

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل٩٣/١

(٣) القَاضِي عِيَاضٌ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِي الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ الأَوْحَدُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، القَاضِي، أَبُو الفَضْلِ، أَخَذَ عَنِ الحَافِظ أَبِي عَلِيٍّ الغَسَّانِيّ إِجَازَة مُجَرَّدَة، وَكَانَ يُمكِنُه السَّمَاعُ مِنْهُ مِنْ تَوَالِيْفِه، لَهُ كِتَاب (الشفَا فِي شرف المُصْطَفَى) مُجَلَّد (٢) وَكِتَاب (العقيدَة)، وَكِتَاب (شرح حَدِيْث أُمّ زرع (٤))، ينظر في ترجمته: قلائد العقيان: ٢٢٢، الصلة ٢ / ٤٥٣، ٤٥٤، الخريدة في ١٢ / ١٧٣ – ١٧٥، بغية الملتمس رقم (١٢٦٩)، إنباه الرواة ٢ / ٣٦٣، ٣٦٤.

البشر، ويقدرهم الله عليه، ولكن لم يكن هذا ولا يكون، فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه، وقال به جماعة من ألفاظه"([١]).

أما موقف النظام من قضية إعجاز القرآن، فلقد ورد عن النظام كما حكى الأشعري أنه قال: "الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحثها فيهم"([٢]).

ويذكر عنه الشهرستاني أن إعجاز القرآن" من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا؛ حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً"([٣]).

ويقول الجاحظ، وهو تلميذ النظام النجيب:" كتبت لك كتابا أجهدت فيه نفسي، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي من الاحتجاج للقرآن والرد على الطعان، فلم أدع فيه مسألة لرافضي ولا لحديثي ولا لحشوي ولا لكافر مباد ولا لمنافق ولا لأصحاب النظام ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان"([٤]).

أما الخياط فلم يصرح إنكار ما نسب إلى النظام من إنكار الحجة في نظم القرآن الكريم وتأليفه، وهو يقول إن القرآن عند النظام حجة للنبي من وجوه، مثل ما فيه من الأخبار عن الغيوب، وإخباره بما في نفوس قوم وبما سيقولون؛ وذكر الخياط أمثلة على ذلك من آي القرآن([٥]).

---

(١) القاضي عياض: الشفا١/٣٧٣

(٢) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/٢٧١

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل١/٥٢

(٤) الجاحظ: حجج النبوة ص ١٤٧، القاهرة سنة١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.

(٥) الخياط: الانتصار ص ٢٧

ويقول السيوطي: "ثم زعم النظام أن إعجازه بالصرفة([1]) أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر

(١) الصرفة لغة :على وزن فعلة- بفتح الفاء واللام وسكون العين-:رد الشيء عن وجهه، يقال: صرفه يصرفه، صرفا، فانصرف، وصارف نفسه عن الشيء :صرفها عنه، قال تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } [التوبة: ١٢٧] أي: رجعوا عن المكان الذي استمعوا منه، وقيل: انصرفوا عن العمل بشيء مما سمعوا، وقوله تعالى:(صرف الله قلوبهم)أي: أضلهم الله مجازاة على فعلهم ، وصرفت الرجل عني فانصرف (١)، وقال ابن فارس: الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء، من ذلك صرفت القوم صرفا وانصرفوا، إذا رجعتهم فرجعوا، والصرفة: نجم، قال أهل اللغة: سميت صرفة لانصراف البرد عند طلوعها، والصرفة: خرزة يؤخذ بها الرجال، وسميت بذلك كأنهم يصرفون بها القلب عن الذي يريده منها، ومعنى الصرف عندنا أنه شيء صرف إلى شيء، كأن الدينار صرف إلى الدراهم، أي رجع إليها، إذا أخذت بدله، قال الخليل: ومنه اشتق اسم الصيرفي ؛ لتصريفه أحدهما إلى الآخر، قال أبو عبيد: صرف الكلام: تزيينه والزيادة فيه، وإنما سمي بذلك لأنه إذا زين صرف الأسماع إلى استماعه(١)، و الصرفة في الاصطلاح : أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن، وكانت في مقدورهم، لكن عاقهم عنها أمر خارجي ، فصار معجزة كسائر المعجزات ، ولو لم يصرفهم عن ذلك ، لجاءوا بمثله(١)، وقد اختلف القائلون بالصرفة في بيان حقيقة ما يقصده هؤلاء بالصرفة ، فقالوا : إن الله سبحانه- لأجل إثبات التحدي -حال بين فصحاء العرب وبلغائهم ، وبين الإتيان بمثل القرآن بأحد الأمور الثلاثة الآتية:-

١-صرف دواعيهم وهممهم عن القيام بالمعارضة ، فكلما هموا بها ، وجدوا في أنفسهم صارفا ودافعا يصرفهم عن منازلته في حلبة المعارضة ، ولم يكن ذلك لعدم قدرتهم عن الانصداع لهذا الأمر ، بل إن المقتضي فيهم كان تاما ، غير أن الدواعي والهمم صارت مصروفة عن الالتفات لهذا الأمر ، ولولا ذلك لأتوا بمثله .

٢- سلبهم الله العلوم التي كانت العرب مالكة لها ومتجهزة بها، وكانت كافية للإتيان بما يشاكل القرآن، ولولا هذا السلب لأتوا بمثله .

٣-إنهم كانوا قادرين على المعارضة ، ومجهزين بالعلوم اللازمة لها، ولكن الله منعهم بالإلجاء على جهة القسر من المعارضة، مع كونهم قادرين ، فتقهقروا في حلبة المعارضة لغلبة القوة الإلهية على قواهم(١)، وقد بين جمهور العلماء، أن الصرفة بكل صورها ، تسلب الإعجاز الذاتي للقرآن، وأنها وهم ذهب إليه خيال القائلين بها، دون سند، أو دليل، ومعنى الصرفة على هذا أن الله تعالى، لم يمكن الناس من إنشاء مثل هذا القرآن، وأن نظم القرآن غير معجز في ذاته، وإنما عجز القوم عن تأليف مثله لأن الله تعالى صرف قدرهم عن هذا.

المعجزات[1]، وهذا قول فاسد بدليل قوله تعالى: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن . ." الآية، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله، وأيضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن"(٢).

كما عرض الرافعي رأي النظام قائلاً: " فذهب شيطان المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النظام إلى أن الإعجاز كان بالصرفة وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن، مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقا للعادة، قلنا وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن"(٣).

---

(١) إن مصدر القول بالصرفة كما يرى الباحثون، يرجع إلى شغف الناس بالفلسفة الدخيلة واطّلاعهم على فلسفة الهند والفرس واليونان، ومن ثم اطلع بعض المتفلسفين على أقوال البراهمة في كتابهم (الفيدا) (و يطلق على كتب الهندوس المقدسة الأربعة، وقد يطلق على كل واحد منها على انفراد، وكتبت هذه الأسفار باللغة السنسكريتية ويعود تاريخها إلى ما بين عام ٣٠٠٠ – ١٠٠٠ قبل الميلاد، ومعنى كلمة (فيدا) بالسنسكريتية «المعرفة»(موسوعة المورد للبعلبكي ١٠/ ٨٢ وفكرتهم تكمن في أن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها لأن براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها، ولكن خاصتهم يقولون إن في مقدورهم أن يأتوا بمثلها ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراما لها، وعند ما دخلت الأفكار الهندية في عهد بني العباس، دفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول ويطبقوه على القرآن– وإن كان لا ينطبق– فقال قائلهم: إن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه ونسجه ونظمه، بل كان، لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله.

(٢) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٨٤

(٣) الرافعي: تاريخ آداب العرب٢/ ١٤٢

ويقول الإمام الزركشي (٧٩٤هـ) موضحا قول النظّام: "إنّ الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات"([1]).

ويقول الزرقاني (١٣٦٠هـ): "ومن الباحثين من طوّعت له نفسه أن يذهب إلى القول بأن وجه إعجاز القرآن هو الصرفة؛ أي صرف الله العرب عن معارضته على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته مستوى طاقتهم البشرية وضربوا لذلك مثلا فقالوا: إنّ الإنسان كثيرا ما يترك عملا هو من جنس أفعاله الاختيارية ومما يقع مثله في دائرة كسبه وقدرته، إما لأنّ البواعث على هذا العمل لم تتوافر، وإما لأنّ الكسل أو الصدود أصابه فأقعد همته وثبط عزيمته وإما لأنّ حدثا مفاجئا لا قِبَلَ له به قد اعترضه فعطّل آلاته ووسائله وعاق قدرته قهراً عنه، على رغم انبعاث همته نحوه وتوجه إرادته إليه، فكذلك انصراف العرب عن معارضتهم للقرآن"(٢)

وقال الخطابي (٣٨٨هـ): "وذهب قوم إلى أنّ العلة في إعجازه الصرفة أي صرف الهمم عن المعارضة، وإن كانت مقدورا عليها و غير معجوز عنها، إلاّ أنّ العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات، صار كسائر المعجزات فقالوا: ولو كان الله عزّ وجلّ بعث نبيا في زمان النبوات، وجعل معجزته في تحريك يده أو مدّ رجله في وقت قعوده بين ظهراني قومه، ثم قيل له ما آيتك فقال أن أخرج يدي أو أمدّ رجلي ولا يمكن أحدا منكم أن يفعل مثل فعلي، والقوم أصحاء الأبدان، لا آفة بشيء من جوارحهم، فحرّك يده أو مدّ رجله فراموا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدروا عليه و كان ذلك آية دالّة على صدقه، وليس ينظر في المعجزة إلى عظم حجم ما يأتي به النبي، ولا إلى فخامة منظره،

---

(١) الزركشي: البرهان ص

(٢) الزرقاني: مناهل العرفان ص٣٢

وإنما تعتبر صحتها خارجا عن مجرى العادات ناقضا لها و فمهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالّة على صدق من جاء بها وهذا أيضا وجه قريب"(١) .

ويقول الجرجاني: "والفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه: أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته، ليست بمعجزة للنبي ولا دالة على صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه، ما فيه من الإخبار بالغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته، فإن العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم، والتأليف"(٢).

ويقول الفخر الرازي (٦٠٦هـ): قال النظام : "إن الله تعالى ما أنزل القرآن ليؤيد به النبوة ، بل هو كتاب مثل سائر الكتب المنزلة ، لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، وإنما لم يعارضه العرب ، لأن الله صرفهم عن ذلك وسلب دواعيهم عن الاعتراض"(٣).

هذه جملة من الأقوال التي قيلت عن النظام في وجه إعجاز القرآن، وأنه يقول بالصرفة والمنع من المعارضة جبرا وتعجيزا، ولكن لم يصلنا شيء ينسب إليه في الاحتجاج لهذا المذهب، وإنما الذي وصلنا شيء يسير لتلميذه الأكبر وهو الجاحظ، ذكره عرضا في كتاب الحيوان في موضعين، وفي كتاب حجج النبوة، ولا بد أن يكون المتأخرون كابن حزم والإيجي قد عرفوا هذا الكتاب أو كتاب الجاحظ في إعجاز القرآن، كما هو ظاهر من كلامهم في هذا الموضوع.

ويحسن بنا في هذا المقام أن نذكر رأي الجاحظ(ت٢٥٥هـ) فلعله لا يخلو من التأثر بمذهب أستاذه، إن لم يكن صورة منه مبسوطة موسعة، وهو قرين النظام في التلقي عن

---

(١) الخطابي: ثلاث رسائل....ص ٣٦

(٢) الجرجاني: دلائل الإعجاز ص٢١٣

(٣) الرازي: تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ٢١

أبي هذيل العلاف، والخبير بأمره في شأن المجادلة(١)، والقائل عنه:" إنَّ النظام وأصحابه كانوا يزعمون أنَّ القرآن حقٌ، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل، وليس ببرهان " (٢).

فهم أثبتوا أنه حق ، وأنه تنزيل من عند الله تعالى، وهذا قاطع بأنهم قائلون بأن القرآن الكريم آية على صدق النبوة المحمدية.

ونفوا أن يكون تأليفه ونظمه معجزا وحجة وبرهانا، فمناط المنازعة ليس إعجاز القرآن الكريم، ولكن مناط المنازعة أن يكون وجه إعجازه نظمه وتأليفه، ذلك تحرير مناط المخالفة .

ويقول الجاحظ مخاطبا ابن أبي داؤود: "إن من أحكم الحكمة، أن الله أرسل كل نبي بما يفحم أعجب الأمور عند قومه، ويبطل أقوى الأشياء في ظنهم، ويتحداهم بما لا يشكون أنهم يقدرون على أحسن منه، فبعث موسى بما يعارض السحر، وبعث عيسى بإحياء

---

(١) القرآن عند " النظام" حق معجز، وهو حجة النبوة، أمَّا التأليف والنظم، فليس هو وجه الإعجاز ومناطه عنده بل وجهه ومناطه أمر آخر لم يصرح به " الجاحظ" فيما نقله لنا عن" النَّظام" وإن صرح لنا به "ابن الخياط"، وهو من علماء القرن الثالث الهجري فهو قريب من عصر "النظام " و"الجاحظ"، ويبقى النظر في دقة أبي عثمان الجاحظ في النقل عن قرينه "النظام" أهو مما يوثق به ومما لا ينازع فيه وأنه ممن ثبت أنه الثبت في روايته أقواله ؟سؤال نطرحه تحريا للحقيقة، الذي يقرأ كتاب (الانتصار) لأبي الحسين الخياط يجده أحيانا يعلق على رواية الجاحظ بعض آراء النظام بأنه مما تفرد به ولا يعرف عن النظام ذلك: يقول الخياط في نقض ادعاء ابن الراوندي على النظام أنه يقول بأن الأمة الإسلامية يجوز عليها الاجتماع على الضلال من جهة الرأي والقياس لا من جهة التنقل عن الحواس:(يقال له: هذا غير معروف عن إبراهيم ،وإنما حكاه عنه عمرو بن بحر الجاحظ فقط ،وقد أغفل في الحكاية عنه ، وهذه كتبه تخبر بخلاف هذا الخبر(راجع: الخياط: الانتصار ص٥١) ويقول في نقض اتهام آخر من ابن الراوندي للنظام (وهذا أيضا لم يحكه عنه غير عمرو بن بحر الجاحظ وقد أنكره أصحابه عليه (الخياط: الانتصار ص٥٢) فهل الذي رواه الجاحظ عن النظام في شأن تأليف القرآن الكريم ونظمه أنه ليس بحجة النبوة عنده هو في قوة ما حكاه عنه في شأن اجتماع الأمة على ضلالة ؟(راجع: إعجاز القرآن الكريم بالصرفة ص ٢٥).

(٢) الجاحظ: حجج النبوة::ص:١٤٨

الموتى، ولما كان دهر محمد يغلب فيهم حسن البيان وشيوع البلاغة بعث إليهم بالقرآن، ووجه الحكمة في كل ما تقدم هو الفصل بين الحجة والحيلة؛ لكي لا يجد المبطلون متعلقا، ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلا"(١).

ويقول: "تحدى النبي -ﷺ-العرب أن يأتوا بمثل القرآن، وقرعهم بالعجز في المحافل، وكان البلغاء فيهم كثيرين....ومع كل هذا لم يعارضوه، ولا تكلفه أحد منهم، ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه، ولا ادعى أنه قد فعل، ومحال أن تكون المعارضة في طاقاتهم المعارضة بالكلام، وإذن فحالهم لا يخلو من أحد أمرين:

إما أن يكونوا قد عرفوا عجزهم فرأوا من الأضراب عن المعارضة أمثل لهم، وأجدر ألا ينكشف به أمرهم للجاهل والضعيف، فسكتوا، وهذا فرض يعارضه أنهم ادعوا القدرة بعدم المعرفة بالعجز عن المعارضة بدليل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ [الأنفال: ٣١]، ثم إنهم قد تساءلوا في القرآن وطعنوا فيه بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ [الفرقان: ٤].

وهل يذعن الأعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز والتوقيف على النص، ثم لا يبذلون مجهودهم ولا يخرجون مكنونهم، وأخيرا فكيف يسكتون نيفا وعشرين سنة عن المعارضة، لو أنهم قادرين عليها؟ وإما أن يكون غير ذلك، أي أنهم صرفت أوهامهم عن محاولة المعارضة"(٢).

(١) الجاحظ: الحيوان ٤/٣٢

(٢) الجاحظ: الحيوان ٤/٣٣

وجاء في حجج النبوة:" فصل في كراهة امتناعهم عن المعارضة لعجزهم عنها: والذي منعهم من ذلك هو الذي منع ابن أبي العوجاء وإسحاق بن طالوت والنعمان بن المنذر وأشباههم من الأرجاس الذين استبدلوا من العز ذلا وبالإيمان كفرا وبالسعادة شقوة وبالحجة شبهة"(١).

أما وجه الإعجاز عند الجاحظ، فقد حكى الإيجي أنه البلاغة، ويمكن أن نستدل على ذلك بكثرة ذكر الجاحظ لهذه الكلمة، وهو يقول مرة: " ولم يكن النبي –ﷺ–تحداهم بالنظم" ولكنه يقول في كتاب حجج النبوة(٢):

"وجاء بالكتاب الذي نقرؤه فوجب العمل بما فيه، وإنما تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم يرم ذلك أحد، ولا تكلفه، ولا ادعى أنه قد فعل"

وفي هذا الكتاب يعطينا الجاحظ الخطوط العريضة لتبيان رأيه فيقول: "لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم سورة طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومخرجها ولفظها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها، وليس ذلك في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين...ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه، ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان"(٣).

ولكن السؤال الملح: كيف يصرف الله أوهام الناس عن المعارضة؟

(١) الجاحظ: حجج النبوة ص ١٢٣

(٢) الجاحظ: حجج النبوة ص١٣١

(٣) المصدر السابق ص ١٢٠

يجيب الجاحظ عن هذا بقوله: " إن الله يقدر على أن يشغل أوهام الناس كيف شاء، فيذكر بما يشاء وينسي ما يشاء، وهو لا يخلي الدنيا وتدبير أمورها([1])، فمثلا يصرف الله وهم سليمان عن ملكة سبأ مع قرب الدار، وعلى هذا النحو لا يعرف يعقوب مكان يوسف، ولا يوسف مكان يعقوب دهرا طويلا؛ مع النباهة والقدرة واتصال الدار...ولكن الله صرف أوهامهم، ورفع ذلك القصد من صدورهم.."([2]).

على هذا النحو" رفع الله من أوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحداهم الرسول بنظمه؛ ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه، ولا جاء به متفقا ولا مضطربا، ولا مستكرها؛ إذ كان في ذلك لأهل الشغب متعلق، ولو جاء أحد بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراض وأشباه الأعراض ولألقى ذلك المسلمين عملا، ولطلبوا المحاكمة والتراضي لبعض العرب، ولكثر القيل والقال، وقد تعلق أصحاب مسيلمة وأصحاب بني النواحة بما ألف لهم مسيلمة من كلام أخذ فيه بعض القرآن وحاول أن يعارضه، وإذن فالله هو الذي صرف العرب عن المعارضة، فكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له"([3]).

وبعد أن انتهينا من تبيان رأي النظام ومن سلك مسلكه في وجه إعجاز القرآن، وكيف أنه يقول بالصرفة والمنع من المعارضة جبرا وتعجيزا، نحاول وضع هذا الرأي في الميزان، ومن ثم نتعرف على النقود والاعتراضات الموجهة لهذا الوجه، وهل هناك من العلماء والباحثين من وافقه، أم كانت هناك العديد من النقود والاعتراضات؟ هذا ما سوف نعرضه في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) الجاحظ: الحيوان ٤/٣٠

(٢) الجاحظ: الحيوان ٤/٣٢

(٣) الجاحظ: الحيوان ٤ /٣٣

المبحث الثالث: النقود الموجهة لمذهب النظام في القول بالصرفة

المطلب الأول: القائلون بالصرفة

بتتبع آراء وأقوال العلماء تبين أن القائلين بالصرفة قد تشعبت مسالكهم وتعددت أفكارهم، وأصبح لكل وجهة فيما زعم، حيث أخذت الفكرة رواجا عند بعض المعتزلة، وبعض الأشاعرة، وخليط من العلماء الذين أيدوا الفكرة ودعموها بالبراهين والأدلة، ونسبوا عجز العرب عن معارضة القرآن البيانية إلى الصرفة التي قالوا بها، ومن أبرز الذين تناولوا المسألة غير النظام غير واحد من الباحثين على هذا النحو الآتي:

١-المردارية طائفة من طوائف المعتزلة، تنسب إلى عيسى بن صبيح المردار (ت٢٢٦هـ) وكان تلميذا لبشر بن المعتمر(٢١٠هـ) أكبر شيوخ المعتزلة(١).

٢-هشام الفوطي وعباد بن سليمان، وقد ألمحنا لهما من قبل، المهم أنهما وافقا النظام على إنكار إعجاز القرآن بنظمه، وأن العباد قادرون على مثله، قال الأشعري:

" فقالت المعتزلة إلا النظام وهشاماً الفوطي وعباد بن سليمان: تأليف القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم وأنه علم لرسول الله -ﷺ-وقال النظام: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"(٢).

فهما لا يريان أن القرآن الكريم معجز بنظمه، ويلزم عن ذلك القول بالصرفة، ونص على ذلك الباقلاني(٣).

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل١/٦٨، والذهبي/ سير أعلام النبلاء١٠/٥٨٤.

(٢) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين١/٢٧١

(٣) الباقلاني: إعجاز القرآن ص ٦٥.

٣-الرماني(١): وذلك في كتابه(النكت في إعجاز القرآن) حيث ذكر سبعة أوجه للإعجاز منها الصرفة(٢)،والرمانيُّ يبدأ رسالته " النكت" بأنَّ (وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات) ولعله من أقدم من ذكر وجوه إعجاز القرآن ، ويرتب ذكرها أولا كالتالي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، التحدي للكافة، الصرفة، البلاغة، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، نقض العادة، قياسه بكل معجزة ([3]).

٤-أبو إسحاق النصيبي: و لم ينسب إليه القول بالصرفة سوى الإمام يحيي بن حمزة العلوي(٤).

٥-الشريف المرتضى(٥) من الشيعة، قد نقل عنه أنه كان يقول بالصرفة، و(العلوى)في (الطراز) نصّ على أنَّ القول بالصرفة مختار المرتضى من الإمامية([6]) ولم يتيسر لي

(١) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، منها الاكوان، و المعلوم والمجهول و ،الأسماء والصفات، و صفة الاستدلال في الاعتزال، سبعة مجلدات، وكتاب التفسير، وتوفي سنة ٩٩٤هـ (الزركلي: الأعلام٤/٣١٧)

(٢) الرماني: النكت في إعجاز القرآن ص ١١٠.

(٣) النكت في إعجاز القرآن للرماني، ص :٧٥، ضمن :ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق:" خلف الله وزغلول سلام – دار المعارف – مصر

(٤) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي: من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، من تصانيفه " الشامل " في أصول الدين، و " نهاية الوصول إلى علم الاصول " ثلاثة مجلدات، و " التمهيد لأدلة مسائل التوحيد،.(الزركلي: الأعلام٨/١٤٤)

(٥) علي بن الحسين بن موسى بن محمد، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، نقيب الطالبيّين، أحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، يقول بالاعتزال مولده ووفاته ببغداد، وله تصانيف كثيرة أشهرها: أمالي المرتضى، وديوان شعره، قال الذهبي: وهو المتّهم بوضع نهج البلاغة، ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين، ت ٤٣٦(الذهبي: تاريخ الإسلام٥/٥٥٦).

(٦) الطراز ٣ / ٣٩١

الوقوف على نصّ (المرتضى) في (الصرفة) في كتاب من كتبه التي بلغتني، لكنا نجد (مصطفي الرافعي) من بعد أن يذكر رأي (النظّام) في (الصرفة) يقول :
وقال (المرتضى)من الشيعة: "بل معنى الصرفة أنّ الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن" ([1]) ولم يعين (الرافعي) المرجع الذي نقل منه هذا .

فإن صح أنَّ هذا منطوق (المرتضى) ففيه دلالة على أنَّ(المرتضى) يذهب إلى أنّ الصرف عن المعارضة لم يكن بسلب الهمم بل كان بسلب العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ،وهذا يلزمه أنَّ همتهم في المعارضة قائمة، وأنهم من قبل السلب كانوا قادرين على مثل نظم القرآن الكريم، فنظمه ليس بخارق للعادة، وأنهم حين راموا المعارضة وجدوا علومهم التي بها تتحقق المعارضة قد سلبت منهم.
٦-ابن سنان الخفاجي المتوفى سنة (٤٦٦هـ): يقول في كتابه (سر الفصاحة): وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكّنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك ... ومتى رجع الإنسان إلى نفسه، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه)(٢).
ويفيدنا (ياقوت الحموي) في (ترجمته) أبا العلاء المعري من كتابه (معجم الأدباء) أنَّ (ابن سنان) قد ألف كتابا في الصرفة زعم فيه أن القرآن الكريم لم يخرق العادة بالفصاحة حتى صار معجزة للنبي -ﷺ- وأن كلّ فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله إلا أنهم صرفوا عن ذلك ([3]) وكتابه هذا لا نعرفه له وجودًا في خزانة من خزائن المخطوطات.
وهو في مفتتح كتابه (سر الفصاحة) يذهب إلى أنّ الخلاف ظاهر فيما كان به القرآن الكريم معجزًا، ويرى الخلاف على قولين:

---

(١) الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص١٦٢
(٢) الخفاجي: سر الفصاحة ص ٨٩، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي.ط:١٣٨٩م محمد صبيح بالقاهرة.
(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء : ١٤٠/٣

الأول: خرق العادة بفصاحته والثاني: أن وجه الإعجاز فيه بصرف العرب عن المعارضة؛ مع أنّ فصاحة القرآن الكريم كانت في مقدورهم لولا الصرف ([١])

٧-نصير الدين الطوسي(٢): حيث قال: "إعجاز القرآن على قول قدماء المتكلمين وبعض المحدثين، في فصاحته، وعلى قول بعض المتأخرين في صرف عقول الفصحاء القادرين على المعارضة عن إيراد المعارضة، قالوا: كل أهل صناعة اختلفوا في تجويد تلك الصناعة؛ فلا محالة يكون فيهم واحد لا يبلغ غيره شأوه، وعجز الباقون عن معارضته، ولا يكون ذلك معجزا له؛ لأن ذلك لا يكون خرقا للعادة، لكن صرف عقول أقرانه القادرين على معارضته، يكون خرقا؛ فذلك هو المعجز"(٣).

جدير بالذكر أننا اكتفينا بذكر هذه النماذج فيما يتعلق بالمسألة، وسوف نقوم بالرد عليها، في المطلب القادم إن شاء الله تعالى

---

(١) الخفاجي: سر الفصاحة :ص ٣ ،٤.

(٢) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي: فيلسوف. كان رأسا في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات، توفي سنة ١٢٧٤م (الزركلي: الأعلام ٧/٣٠).

(٣) الطوسي: تلخيص المحصل ص ١٥١.

المطلب الثاني: إبطال مذهب النظام في القول بالصرفة

تبين فيما سبق أن أول من قال إن إعجاز القرآن الكريم بالصرفة هو النظام (ت٢٣١هـ)، ونسب إليه، حتى صار مذهبا، وقلده آخرون في هذه المقولة، وبالتالي وصل الناس في ذلك إلى قولين:

الأول: يرى أن المراد بالصرفة أن الله صرف العرب عن الاهتمام بمعارضة القرآن الكريم مع قدرتهم عليها ولو توجهوا إليها لقدروا على الإتيان بمثل هذا القرآن.

الثاني: مراده بالصرفة أن الله سلب العرب العلوم التي يحتاجون إليها للإتيان بمثل هذا القرآن ولو توجهوا للإتيان بمثله لما استطاعوا، لسلبهم هذه العلوم.

والفرق بينهما أن النظام يرى أن العرب لو أرادوا الإتيان بمثله لاستطاعوا ولكن همتهم لم تتوجه لذلك، أما المرتضى فيرى أن العرب لا يستطيعون الإتيان بمثله ولو أرادو ذلك؛ لأنهم لا يملكون العلوم التي تمكنهم من ذلك، فالفرق بينهما أن النظام يرى أن العرب يستطيعون لو أرادوا والمرتضى يرى عدم استطاعتهم، وكلا القولين غير صحيح(١).

وإذا ما أردنا إبطال هذه النظرية؛ فيكون على النحو الآتي:
أولاً: أجمعت الأمة قبل ظهور القول بالصرفة على أن إعجاز القرآن ذاتي لاشتماله على ميزات جعلته يفضل كلام البشر، والقول بالصرفة يسلب عن القرآن إعجازه الذاتي، ويجعل المعجزة لهذا الصرف والمنع الذي حال بينهم وبين الاتيان بمثله، قال أبو بكر الباقلاني:

---

(١) فهد الرومي: دراسات في علوم القرآن ص ٢٣٣

"ومما يبطل القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزًا وإنما يكون المنع معجزًا، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه"(١).

ثانياً: وصف الله سبحانه وتعالى القرآن بأوصاف ذاتية تجعله في منزلة لا تصل إليها المعجزات الأخرى، وبيّن أن وجود القرآن بينهم يتلى عليهم كافيا ومغنيا عن كل معجزة مادية أخرى، قال تعالى:﴿ وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرى لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ*﴾ [العنكبوت: ٥٠ – ٥١].

وقد قال سبحانه وتعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً ﴾[الرعد: ٣١]. أي لو كان من شأن كتاب أن يظهر له أثر في مثل هذه الأشياء لكان هذا القرآن أولى من كل كتاب بذلك.

ويقول جلّ شأنه:﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ ﴾[الزمر: ٢٣].

فالقول بالصرفة يسلب هذه الصفات الذاتية عن القرآن الكريم ويجعل الإعجاز في المنع الذي حال بينهم وبين الإتيان بمثله.

يقول السيوطي في إبطال هذا المذهب:" وهذا قول فاسد بدليل: ﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن﴾ الآية فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع

(١) الباقلاني: إعجاز القرآن ص ٥٤

أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله

وأيضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن"(١).

وقال القاضي أبو بكر:" كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه قال: ليس هذا بأعجب من قول فريق منهم إن الكل قادرون على الإتيان بمثله وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به ولا بأعجب من قول آخرين إن العجز وقع منهم وأما من بعدهم ففي قدرته الإتيان بمثله وكل هذا لا يعتد به(٢).

ويقول عبد الكريم الخطيب مفندا القول بالصرفة من الناحية العقلية: " فليس قولٌ أسقط من القول بالصرفة فيما قيل من أقوال حول إعجاز القرآن : إنه قول لامعقول له ..إذ كيف يقف العرب أمام آيات القرآن هذه السّنين الطويلة وهم ينظمون خلالها شعرًا ويقولون نثرًا ......وهم يجدون قواهم كاملة وملكاتهم التي كانت لهم لم يذهب منها شيءٌ ، ثُمَّ يقال بعد هذا إنَّ قوة قاهرة غير منظورة قد أمسكت بهم ولوت أعناقهم عن أن يتصدّوا للقرآن ويعرضوا له ؟! " (٣)

ومن وجه آخر يبطل الشيخ محمود شاكر الصرفة عند النظام والجاحظ من زاوية مهمة قائلاً: لا أدري كيف ضلّ الرجلان في تيه الحوار والمناظرة حتى اهتديا بعد الإرهاق والتعب والهمود والخمود إلى قولٍ مذهلٍ للعقول سمياه" الصرفة" لتكون هذه الصرفة في

---

(١) السيوطي: الإتقان ٤/٧

(٢) الباقلاني: إعجاز القرآن ص ٢٣

(٣) عبد الكريم الخطيب: إعجاز القرآن الكريم في دراسات السابقين ص ٣٦٦

شأن القرآن مصححة أيضًا لشرطهما الذي أحدثاه، وهو" مدار الآية على عجز الخليقة"، ولتُخفِي أيضًا ما في هذا الشرط من المغمز المفضي إلى فساده واضطرابه، وهذه " الصرفة " كما وصفها أبو عثمان الجاحظ نفسه ...هي أن الله تعالى" رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه...."(١).

ثم يقول: وبيّنٌ كل البيان أنّ العجز الذي هو شرط في آية كلّ نبيّ صار الآن: عجزين: عجز قديم مغروز في أنفس الخلائق عند الفطرة الأولى ،لأنهم سُلِبُوا القدرة سلبًا جازمًا عن أفعالٍ قد استأثر اللهُ بها وحدَه دون خلائقِه جميعا ، فتأتي آيات الأنبياء جميعا من هذا الباب، فتتلقاها الخلائقُ بالتسليمِ والعجزِ، هذا هو العجز الأول ثُمّ عجزٌ أحدثه الله إحداثًا عند تنزيل آية نبينا -ﷺ-وهي القرآن، وهو عجز مستحدث فجأة في أنفس الخلائق، وهو عجزٌ لا يسلبها القدرة على نظم الكلام، وتأليفه ألبتة، فذلك إلحاقٌ لها بالبهائم والعجماوات، بل هو عجز يسلبها القدرة على نظم الكلام وتأليفه في حالة واحدة ليس غير، هي الحالة التي تريغ فيها الخلائق، أو تسوّل لها أنفسها معارضة القرآن بنظم وتأليفٍ يشابهه أو يدانيه، فعندئذٍ يقطعها العجز قطعًا مبينًا على إتيان ما أراغته من الإتيان بمثل هذا القرآن، ثُمّ هي بعد ذلك مطلقة قدرتها إطلاقًا على ما شاءت من نظم الكلام وتأليفه، بلا حرج عليها في ذلك! وهذا هو العجز الثاني (٢).

ونضيف نقطة أخرى في غاية الأهمية وهي أن الآيات الدالة على التحدي والإعجاز تحمل في طياتها دلالة واضحة على مزية القرآن وأنّه فوق قدرة البشر فإنّ الخطاب القرآني لم يوقع التحدي إلاّ بعد الحديث عن نظم القرآن وعن معارضة العرب ورفضهم لدعوته وأحكامه ومعانيه والقول بالصرفة مناقض ومخالف لذلك.

---

(١) محمود شاكر: مداخل إعجاز القرآن ص ٥٨

(٢) محمود شاكر: مداخل إعجاز القرآن ص ٦٢-٦٣

وفضلاً عن ذلك فإن الإجماع وقع قبل قول النظام بالصرفة على أنّ القرآن معجز بنظمه ولا سبيل لخرقه يقول الإمام القرطبي في أحكام القرآن مفندا القول بالصرفة:

"وهذا فاسد، لأن الإجماع قبل حدوث المخالف: أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إن المنع والصرفة هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزا، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك، علم أن نفس القرآن هو المعجز، وأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن كذلك مألوفا معتادا منهم، دل على أن المنع والصرفة، لم يكن معجزا"(١).

و القول بالصرفة يقتضي أنّ بلاغة العرب تعطّلت أو على الأقل تراجعت بعد وقوع التحدي والواقع خلاف ذلك، فإنّ شعراءهم وخطباءهم كذلك، وكلامهم الفصيح وأسلوبهم البديع والألفاظ المنمقة والمعاني الجليلة السامية بقيت هي هي لم يتغير من ذلك كلّه شيء ... ممّا يؤكد أنّ العجز واقع في أنفسهم وقدرتهم لمزية هذا القرآن وعلوّ شأنه وإعجازه في بلاغته ونظمه لا غير ...

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي(ت٤١٥هـ): " لو كانوا ممنوعين من الإتيان بكلام فصيح، أو قول بليغ، لكان ذلك لا يختص بكلام دون كلام، وأنه لو حصل ذلك في ألسنتهم، لما أمكنهم الكلام المعتاد، ولكن القوم ظلوا يتكلمون، ويأتون بالقول الفني الممتاز، ولم ينحدر مستوى بيانهم، أو يهبط، ولكنه كان – على علوه –، لا يرقى الى مستوى القرآن"(٢).

ويلزم من قولهم بالصرفة أن" يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان وفي جودة النظم وشرف اللفظ...وكل كلام اختلفوا فيه من بعد أن أوحي إلى النبي –ﷺ–

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن١/٧٥

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني(إعجاز القرآن) ٥/٢١

وتحدوا إلى معارضة القرآن قاصرة عما سمع منهم من قبل ذلك القصور الشديد، وأن يكون قد ضاق عليهم في الجملة مجال قد كان يتسع لهم..."([١]).

هذه أهم أوجه إبطال القول بالصرفة، بيد أن الصرفة لم تكن شرا محضا، فإنه" مهما يكن من بطلان هذه الفكرة فقد أدت إلى إنشاء علوم البلاغة في ظل القرآن، فاتجه الكاتبون إلى بيان أسرار البلاغة في هذا الكتاب المبين، المنزل من عند الحكيم، فكان هذا الباطل سببا في خير كثير...وإن أكثر ما كتبه الأولون في البلاغة والفصاحة كان في ظل القرآن ومحاولة لبيان إعجازه..."([٢]).

وإنني في ختام هذا الكلام أختم بقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد حيث يقول: " وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك؛ بل قوم تنبهوا لما تنبهوا له"([٣]).

بل إنه وصل إلى أبعد من ذلك حيث إنه اعتبر القول بالصرفة وجها معجزا عند من يقول به على سبيل التقدير والتنزيل؛ وإلا فهو يعتبرها من ضعيف القول؛ بل من أضعفه فهو لا يقول بها ولا يؤيدها([٤]).

رأي ونتيجة:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن النظام قرر أن الإعجاز قائم من أمرين: الأول: ما أخبر به القرآن الكريم من أمور الغيب، والآخر: الصرفة، أما الأمر الأول فإنا نجد أبا الحسين الخياط يقول في رده اتهام ابن الروندي النظام: ثم قال أي (ابن الراوندي): وكان أي (النظام) يزعم أن نظم القرآن وتأليفه ليسا بحجة، وأن الخلق يقدرون على مثله.

ثُمَّ قال(أي ابن الراوندي): هذا مع قول الله عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[الاسراء:٨٨].

---

(١) الرسالة الشافية ص ١٤٦

(٢) المعجزة الكبرى: القرآن ص ٨٢

(٣) ابن تيمية: الجواب الصحيح٤/٧٥

(٤) ينظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح٤/٧٥-٧٦

اعلم(والقول للخياط) أنَّ القرْآنَ حجة للنبيّ عليه الصلاة والسلام على نبوته عند إبراهيم من غير وجه (كذا) فأحدها: ما فيه من الإخبار عن الغيوب مثل قوله:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[النور:٥٥] ومثل قوله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَاب"[الفتح: من الآية١٦] ومثل قوله (" الم ❊ غُلِبَتِ الرُّوم ❊ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[الروم:١-٣]....ومثل إخباره بما في نفوس القوم وبما سيقولونه ،وهذا وما أشبهه في القرآن كثير.

فالقرآن عند إبراهيم حجة على نبوة النبي -ﷺ-من هذه الوجوه وما أشبهها ،وإياها عني الله بقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[الاسراء:٨٨]. (١)

واضح من كلام الخياط أنه مؤكد وجه إعجاز القرآن الكريم من جهة الإنباء بالغيب، وأن قوله (من غير وجه) دال ظاهره على تعدد وجوه الإعجاز غير الإنباء بالغيب ، ولكنه لم يذكر لنا غير هذا الوجه.

ويقول محمد أبو موسى:" وإنما رمى بهذا القول في حومة الجدل ولجاجة الخصومة، ولم يقل عن دراسة ومراجعة وتمام اقتناع " (٢)

وهذا منه إحسان ظنّ بـ" النظام" شأنه دائما مع أهل العلم؛ ذلك أنَّ (النظام) لم يكُ غبيا ولا مسلوب الطبع والذوق، بل كان بليغا شاعرا قادرا ببلاغته على تصوير الأشياء في صورتين متقابلتين، ومن كان كذلك لا يغيم عليه فرق ما بين بلاغة القرآن الكريم وبلاغة البشر، وإن اتهم بأنّه قال إنّ البشر قادرون على أنّ يأتوا بأحسن منه نظما وبلاغة.

قد ذكر (النظام) مع القول بالصرفة القول بالإعجاز بالإخبار عن المغيبات، وذلك أنَّ هذه المغيبات الماضية والآتية لا يطلع عليها بشر إلا بإعلام علاَّم الغيوب، فدلَّ ذكرها

---

(١) الخياط: الانتصار ص ٢٧-٢٨

(٢) محمد أبو موسى: الإعجاز البلاغي ص ٣٥٦ – مكتبة وهبة بالقاهرة.

في القرآن الكريم على أنّ غير النبي -ﷺ- لا يأتي بمثلها في كلامه ، فكان القرآن الكريم بهذا معجزًا.

وإذا ما كان ما فيه إخبار بغيب في القرآن الكريم لا يشمل القرآن الكريم كلّه، أ فيكون ما ليس فيه إخبار بغيب مقدورًا عليه ؟

المبحث الرابع: تفسير(١) القرآن الكريم عند النظام

(١) التَّفسيرُ: تفعيلٌ من الفَسْرِ، وأصلُ مادَّتِه اللُّغوية تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه (ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون (٤:٥٠٤).)، ولذا قيلَ: الفَسْرُ: كَشفُ المغطَّى (قال ابن الأعرابي: ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، (١٢:٤٠٦)، وقيلَ: هو مأخوذٌ من قولِهم: فَسَرْتُ الحديثَ، أفسُرُهُ فَسْراً؛ إذا بيَّنتُه وأوضحتُه. وفَسَّرْتُهُ تفسيراً: كذلك ابنِ دريدٍ: جمهرةُ اللغةِ، (٢:٧١٨)، وينظر في مادة (فسر) الخليل بن أحمد: كتابَ العينِ، (٧:٢٤٦)، ابنِ عبادٍ: المحيطَ في اللغةِ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين (٨:٣١١).والأشهرُ في الاستعمالِ: فَسَّرَ تفسيراً، بتشديدِ حرفِ السِّينِ في الماضي، وبه جاءَ القرآنُ، كما قالَ تعالى: {وَلاَ يأتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: ٣٣]،قالَ مجاهد (ت:١٠٤) في تفسير هذه الآية: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}: بياناً» تفسير الطبري، ط: الحلبي (١٩:١٢).وقيل «فَسَرَ» مقلوب من «سَفَرَ»، يقال: سَفَرَتْ المرأةُ سفوراً؛ إذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة، وأسفر الصبح: أضاء، وإنما بنوه على التفعيل؛ لأنه للتكثير، كقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبنَاءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩]،وقوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبوَابَ﴾ [يوسف:٢٣]، فكأنه يتبع سورة بعد سورة، وآية بعد آية أخرى (ينظر: مقدمتان في علوم القرآن: ١٧٣، البرهان في علوم القرآن: ٢:١٤٧، التيسير في قواعد علم التفسير: ١٣٢)قال الآلوسيُّ (ت:١٢٧٠هـ): «والقول بأنه مقلوب السَّفر، مما لا يسفر له وجه» الألوسي: روح المعاني (١:٤)،وفي لسان العرب: الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، وفي القرآن: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[الفرقان:٣٣] أي بيانًا وتفصيلًا والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال ينظر: ابن منظور: لسان العرب(٥/٥٥) مادة/ فسر، وقال الراغب الأصفهاني(ت:بعد:٤٠٠هـ) (١): والفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما؛ لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول...وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح مقدمة جامع التفاسير(٤٧)و ينظر: المفردات(٣٨٠).وفي الاصطلاح : اختلفتْ عباراتُ العلماءِ في البيان عن معنى التَّفسيرِ، وجاءوا بعباراتٍ شَتَّى، أذكر منها ما يلي: عرَّفَهُ أبو حيان التوحيدي (ت:٧٤٥)، فقال: "التفسيرُ: علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآنِ، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفراديَّةِ والتركيبيَّةِ، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالَ التركيبِ، وتتماتُ ذلك. فقولنا: (علم): هو جنسٌ يشملُ سائرَ العلومِ. وقولنا: «يُبحثُ فيه عن كيفيَّةِ النُّطقِ بألفاظِ القرآنِ»: هذا علمُ القراءاتِ. وقولنا: (ومدلولاتها)، أي: مدلولاتِ تلك الألفاظِ، وهذا علمُ اللُّغةِ الذي يُحتاجُ إليه في هذا العلمِ. وقولنا: «وأحكامها الإفرادية والتَّركيبية»: هذا يشملُ علمَ التَّصريفِ، وعلمَ الإعرابِ، وعلمَ البيانِ، وعلمَ البديعِ. «ومعانيها التي تحمل عليها حال التَّركيب»: شملَ بقوله: «التي تحمل عليها»: ما لا دلالةَ عليه بالحقيقةِ، وما دلالته عليه بالمجازِ، فإنَّ التَّركيبَ قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصدُّ عن الحملِ على الظَّاهرِ صادٌّ، فيحتاج لأجل ذلك أن يُحملَ على غيرِ الظَّاهرِ، وهو المجازُ. وقولنا: «وتتمات ذلك»: هو معرفةُ النَّسخِ، وسببُ النُّزولِ،

المطلب الأول: منهج المعتزلة([١]) في تفسير القرآن الكريم ([٢])

إن كل فرقة من الفِرَق تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها، وتُفسّره بما يتلاءم مع مذهبها، فالمعتزلي يطبق القرآن على مذهبه في الاختيار، والصفات، والتحسين والتقبيح العقليين.. ويُؤوِّل ما لا يتفق ومذهبه، وكذلك يفعل الشيعي، وكذلك يفعل كل صاحب مذهب حتى يسلم له مذهبه، والمعتزلة إحدى الفرق التي صالت وجالت في ميادين

وقصةٌ توضِّحُ ما انبهمَ في القرآنِ، ونحوُ ذلك» أبو حيان التوحيدي: البحر المحيط(١:٢٦)، وقد نقله عنه ـ باختصارٍ ـ الكفويُّ في الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري (ص:٢٦٠).وعرَّفه الزَّرْكَشِيُّ (ت:٧٩٤) في موضعينِ من كتابِه البرهانِ في علوم القرآن، فقالَ في الموضعِ الأوَّلِ: «علمٌ يُعرفُ به فَهْمُ كتابِ اللهِ المنَزَّلِ على نبيه محمدٍ –ﷺ– وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامِه وحِكَمِهِ» البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١:١٣).وقال الكَافِيجِيُّ (ت:٨٧٩) «وأمَّا التَّفسيرُ في العُرْفِ، فهو كشفُ معاني القرآنِ، وبيانُ المرادِ، والمرادُ من معاني القرآنِ أعمُّ، سواءً كانت معاني لغويَّةً أو شرعيَّةً، وسواءً كانت بالوضعِ أو بمعونةِ المقامِ وسَوْقِ الكلامِ وبقرائنِ الأحوالِ؛ نحو: السَّماء والأرض والجنَّة والنَّار، وغير ذلك. ونحو: الأحكام الخمسة. ونحو: خواصِّ التَّركيب اللازمة له بوجه من الوجوه» الكافيجي: التيسير في قواعد التفسير، (ص:١٢٤ – ١٢٥).وعرفه الشيخ محمد بن صالح العثيمين(ت ١٤٢١هـ) فقال: بيان معاني القرآن الكريم(١) وهذا التعريف هو أولى التعاريف السابقة والله أعلم ابن عثيمين: أصول في التفسير(٢٧).

(١) المعتزلة، وهم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وهم فرق كثيرة يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة وهي: التوحيد، و العدل، و الوعد والوعيد، و المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتزال في حقيقته يحمل خليطاً من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر، فقد جمع المعتزلة بين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج، والرافضة.

(٢) أهم كتب التفسير الاعتزالي صنف كثير من شيوخ المعتزلة تفاسير للقرآن الكريم على أصول مذهبهم لكن كثيراً منها ضاع بتقادم العهد عليه. ومن أهم هؤلاء الذين وصلت إلينا تفاسيرهم أو بعض منها، أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٢٢هـ، صنف تفسيراً اسمه (جامع التأويل لمحكم التنزيل)، وهذا التفسير –فيما يبدو– هو الذي يعتمد عليه الفخر الرازي فيما ينقله في تفسيره من أقوال منسوبة لأبي مسلم. وقد جمعه بعض المؤلفين في كتاب مستقل سماه (تفسير أبي مسلم الأصفهاني). ومنهم القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، المتوفى سنة ٤١٥هـ، وله كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) ولكنه غير شامل لجميع آيات القرآن الكريم، وهو متداول. ومنهم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وتفسيره الكشاف هو أشمل ما وصل إلينا من تفاسير المعتزلة.

القرآن المختلفة، وكانت لهم وقفات معينة، وآراء شاذة، ولقد أقام المعتزلة تفسيرهم على أصولهم الخمسة، وبالتالي يتبين منهجهم فيما يلي:

أولاً: بناء التفسير على العقل المحض: يقول الشيخ الذهبي: "والذى يقرأ تفسير المعتزلة، يجد أنهم بنوا تفسيرهم على أُسسهم من التنزيه المطلق، والعدل وحرية الإرادة، وفعل الأصلح.. ونحو ذلك، ووضعوا أسساً للآيات التي ظاهرها التعارض فَحَكَّمُوا العقل، ليكون الفيصل بين المتشابهات وقد كان مَن قبلهم يكتفون بمجرد النقل عن الصحابة أو التابعين، فإذا جاءوا المتشابهات سكتوا وفوَّضوا العلم لله"(١).

ثانياً: إنكار الصحيح من الأحاديث التي تناقض مذهبهم: و "قد جَرَّ المعتزلة إلى إنكار ما صح من الأحاديث التي تناقض أسسهم وقواعدهم المذهبية، كما أنه نقل التفسير الذى كان يعتمد أولاً وقبل كل شيء على الشعور الحى، والإحساس الدقيق، البساطة فى الفهم وعدم التكلف والتعمق، إلى مجموعة من القضايا العقلية، والبراهين المنطقية، مما يشهد للمعتزلة – رغم اعتزالهم – بقوة العقل وجودة التفكير"(٢).

ثالثاً: عدم الاعتراف بالتفسير المأثور: وذلك لأن حالهم بإزاء التفسير المأثور وتصديقهم له، يظهر بأجلى وضوح من حكم النظام على استرسال المفسِّرين من معاصريه.

رابعاً: جعل كل المسائل الموجودة في القرآن مرادة لله: "بناء على رأيهم فى الاجتهاد، من أن الحكم ما أدَّى إلى اجتهاد كل مجتهد، فإذا اجتهدوا فى حادثة فالحكم عند الله تعالى فى حق كل واحد مجتهده رفضوا أن يكون للآية التي تحتمل أوجهاً تفسيراً واحداً لا خطأ فيه، وحكموا على جميع محاولاتهم التي حاولوها فى حل المسائل الموجودة فى القرآن، بأنها مرادة لله تعالى، وغاية ما قطعوا به هو عدم إمكان التفسير المخالف لمبادئهم وآرائهم".

خامساً: الاهتمام الشديد باللغة والأدب في تفسير القرآن، و "الحرص على الطريقة اللغوية التي تعتبر عندهم المبدأ الأعلى لتفسير القرآن، وهذا المبدأ اللغوي، يظهر أثره

(١) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون٨١/٣

(٢) المصدر السابق ٨٠/٤

واضحاً فى تفسيرهم للعبارات القرآنية التي لا يليق ظاهرها عندهم بمقام الألوهية، أو العبارات التي تحتوى على التشبه، أو العبارات التي تصادم بعض أصولهم، فنراهم يحاولون أولاً إبطال المعنى الذى يرونه مشتبهاً فى اللفظ القرآني، ثم يُثبتون لهذا اللفظ معنى موجوداً فى اللغة يُزيل هذا الاشتباه ويتفق مع مذهبهم، ويستشهدون على ما يذهبون إليه من المعاني التي يحملون ألفاظ القرآن عليهم بأدلة من اللغة والشعر العربي القديم".

فمثلاً الآيات التي تدل على رؤية الله تعالى كقوله سبحانه فى الآيتين [٢٢ – ٢٣] من سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقوله تعالى فى الآية [٢٣] من سورة المطففين: ﴿عَلَى الأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ نجد المعتزلة ينظرون إليها بعين غير العين التي ينظر بها أهل السُّنَّة، ويحاولون بكل ما يستطيعون أن يُطَبِّقوا مبدأهم اللغوي، حتى يتخلصوا من الورطة التي أوقعهم فيها ظاهر اللفظ الكريم، فإذا بهم يقولون: إن النظر إلى الله معناه الرجاء والتوقع للنعمة والكرامة، واستدلوا على ذلك بأن النظر إلى الشيء فى العربية ليس مختصاً بالرؤية المادية، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر:

وإذ نظرتُ إليك من ملك * والبحر دونك زدتني نعماً(١).

سادساً: الخروج عن القراءات المتواترة لتوافق الآية عقيدتهم، و "محاولة تحويل النص القرآني من أجل عقيدتهم إلى ما لا يتفق وما تواتر من القراءات عن رسول الله –ﷺ– فمثلاً ينظر بعض المعتزلة إلى قوله تعالى فى الآية [١٦٤] من سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾.. فيرى أن مذهبه لا يتفق وهذا اللفظ القرآني حيث جاء المصدر مؤكّداً للفعل، رافعاً لاحتمال المجاز، فيبادر إلى تحويل هذا النص إلى ما يتفق ومذهبه فقرؤه هكذا: "وكلَّم اللهَ موسى تكليماً" بنصب لفظ الجلالة على أنه مفعول، ورفع موسى على أنه فاعل"

---

(١) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ٨٣/٤

سابعاً: معارضة أهل السنة والجماعة: لذلك وقفوا " تجاه بعض الحقائق الدينية الثابتة عند جمهور أهل السُّنَّة موقف المعارضة والكفاح، فأهل السُّنَّة يقولون بحقيقة السحر، ويعترفون بما له من تأثير فى المسحور، ويقولون بوجود الجن، ويعترفون بما لهم من قوة التأثير فى الإنسان حتى ينشأ عن ذلك المس والصَرَع، ويقولون بكرامات الأولياء.. وما إلى ذلك، ولكن المعتزلة الذين ربطوا التفسير با شرطوه من جعل العقل مقياساً للحقائق الدينية وقفوا ضد هذا كله وجعلوه من قبيل الخرافات، والتصورات المخالفة لطبيعة الأشياء، وكان من وراء ذلك أن تمرد المعتزلة – فى حرية مطلقة من كل قيد – على الاعتقاد بالسحر والسَحَرة، وما يدور حول ذلك"(١).

ثامناً: تأويل الآيات التي يخالف ظاهرها القواعد العقلية: فالمعتزلة يؤولون ما يتعلق بصفات الله تعالى بما يناسب رأيهم، فكل ما في القرآن يعرضونه على العقل، فما قبله أقروه، وما خالفه حسب

رأيهم يؤولونه حتى يتوافق مع ما عندهم من القواعد العقلية ، كتأويل اليد في قوله تعالى:﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم ﴾[الفتح: ١٠] بالقدرة ، وتأويل الاستواء في قوله :﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] بالاستيلاء والسيطرة ، وتأويل الرؤية في قوله :﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٣] برؤية رحمة الله ، وما شابه ذلك.

ويقول القاضي عبد الجبار:

"وربما قيل في قوله:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ٢٣] إنه أقوى دليل على أن الله يرى في الآخرة، وجوابنا: أن من تعلق بذلك إن كان ممن يقول بأن الله جسم، فإنا لا ننازعه في أنه يرى، بل في أنه يصافح، ويعانق، ويلمس، تعالى الله عن ذلك، وإنما نكلمه في أنه ليس بجسمٍ، وإن كان ممن ينفي التشبيه عن الله، فلابد من أن

---

(١) هناك العديد من الأمور التي تعد من منهجيتهم في تفسير القرآن الكريم، بيد أننا اكتفينا بذكر هذه النماذج السالفة.

يعترف بأن النظر الى الله تعالى لا يصح ؛ لأن النظر هو: تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلباً لرؤيته، وذلك لا يصح إلا في الأجسام، فيجب أن يتأول على ما يصح النظر إليه وهو الثواب"(١).

المطلب الثاني: تفسير القرآن الكريم عند النظام

للنظام في تفسير القرآن طريقته الخاصة به، وهي تقوم على أصول يمكن استخلاصها من جملة ما وصل إلينا عنه في ذلك، ومن أهم هذه الأصول ما يأتي:

أولاً: عدم البعد في التأويل عن المعنى الذي تدل عليه الألفاظ بحسب عادة العرب في تعبيرهم، وترك التكلف، وترك التكلف وترك الجري وراء الغريب من التأويل؛ ولذلك يقول النظام في حق متلمسي الغريب: " وليس يؤتى القوم إلا من الطمع، ومن شدة إعجابهم بالغريب من التأويل"(٢).

ثانياً: محاولة الوصول إلى معنى الألفاظ بشكل كلي إجمالي، ولذلك لا يعجبه صنيع من يحاول أن يجد للفظ الواحد معاني بمقدار تكرره في الآيات.

ثالثاً: محاولة تبيين معاني القرآن ومت فيها من أحكام ودلالة عقلية منطقية وحجة خفية؛ وفي هذه الأصول نجد الروح الفلسفية ظاهرة.

رابعا: عدم الاسترسال إلى كثير من المفسرين، وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة؛ فإن كثيرا منهم يقول بغير رواية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم، وهذا نصه كما قال الجاحظ:

"كان أبو إسحاق يقول: لا تسترسلوا إلى كثير من المفسِّرين وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة، فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس وكلما كان المفسِّر

---

(١) القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٣٥٨

(٢) الجاحظ: الحيوان ١/١٦٩

أغرب عندهم كان أحب إليهم، وليكن عندكم عِكرمة، والكلبي، والسديّ، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وأبو بكر الأصم في سبيل واحدة، وكيف أثق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم وقد قالوا في قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾: إن الله عَزَّ وجَلَّ، لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها، بل إنما عنى الجباه، وكل ما سجد الناس عليه من يد وجبهة وأنف وثفنة

وقالوا في قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: إنه ليس يعني الجمال والنوق، وإنما يعني السحاب – وإذا سُئلوا عن قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قالوا: الطلح هو الموز – وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأُمم وأن الناس غيَّروه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾..

وقالوا في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً﴾ ..قالوا: إنه حشره بلا حُجة، وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: الويل واد في جهنم، ثم قعدوا يصفون ذلك الوادي، ومعنى الويل في كلام العرب معروف، وكيف كان في الجاهلية قبل الإسلام، وهو من أشهر كلامهم، وسئلوا عن قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.. قالوا: الفلق واد في جهنم. ثم قعدوا يصفونه، وقال آخرون: الفلق: المقطرة بلغة اليمن.. إلى آخر ما ذكره من تفسيراتهم الغريبة"(١).

ولنذكر مثالاً من تفسير النظام للقرآن، يقول الجاحظ: "وقرأ أبو إسحاق قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ [النمل: ١٧، ١٨]، فقال كان ذلك الوادي معروفا بوادي النمل، فكأنه كان حمى، فكيف ينكر أن يكون حمى؟! والنمل ربما أجلت أمة من الأمم عن بلادهم، ولقد سألت أهل كسكر، فقلت: شعيركم عجب وأرزكم عجب وسمنكم عجب وبطكم عجب

(١) الجاحظ: الحيوان ١/١٦٨–١٧٠

ودجاجكم عجب، فلو كانت لكم أعناب! فقالوا: كل أرض كثيرة النمل لا تصلح فيها الأعناب، ثم قرأ:

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، فجعل تلك الحجرة مساكن، والعرب تسميها كذلك، ثم قال: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ [النمل: ١٨]، فجمعت من اسمه وعينه، وعرفت الجند من قائد الجند ثم قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨]، فكانوا معذورين وكنتم ملومين، وكان أشد عليكم، فلذلك قال:﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ [النمل: ١٩]، لما رأى من بعد غورها وتسديدها ومعرفتها؛ فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، قال: ويقال: ألطف من ذرة وأضبط من نملة، قال: والنملة أيضا قرحة تعرض للساق، وهي معروفة في جزيرة العرب، قال: ويقال: أنسب من ذرة؛ فأما قوله:

لو يدب الحولي من ولد الذ ... رّ عليها لأندبتها الكلوم

فإن الحولي منها لا يعرف مسكنها؛ وإنما هو كما قال الشاعر:

تلقط حول الحصا في منازل ... من الحي أمست بالحبيبين بلقما

قال وحول الحصا صغارها، فشبهه بالحولى من ذوات الأربع"([1]).

وإن الزمخشري وهو أهم مَن عرفنا من مفسري المعتزلة – نجده كثيراً ما يذكر ما جاء عن الرسول –ﷺ– أو عن السَلف من التفسير ويعتمد على ما يذكر من ذلك فى تفسيره.

---

(١) الجاحظ: الحيوان ٤/٣٥

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين [٤١ – ٤٢] من سورة الأحزاب: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.. يقول ما نصه: ﴿اذْكُرُواْ اللَّهَ﴾ اثنوا عليه بضروب الثناء، من التقديس، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وما هو أهله، وأكثروا ذلك ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي كافة الأوقات، قال رسول الله –ﷺ–: "ذكر الله على فم كل مسلم" – ورُوِى: "في قلب كل مسلم" وعن قتادة: "قولوا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" وعن مجاهد: "هذه كلمات يقولها الطاهر والجُنُب والغفلان" أعني: اذكروا وسبِّحوا موجهان إلى البُكرة والأصيل، كقولك: صُمْ وصَلِ يوم الجمعة.. إلخ(١).

وبعد عرض هذه الأصول هناك سؤال في ختام هذه الجزئية مفاده: ما الدوافع التي دفعت النظام لسلوك هذا المسلك من الفكر؟

للجواب عن هذا السؤال نقول: هناك عدة أسباب دفعت النظام لاعتناق هذا اللون الفكري، من أهمها ما يأتي:

١– الآيات القرآنية التي تشير إلى حجية العقل ولزوم اتباعه في كثير من الآيات والسور.
٢– حل الآيات المتشابهة بواسطة القواعد العقلية والفلسفية خاصة فيما يتعلق بصفات الله تعالى وأفعاله.
٣– الدفاع عن القرآن والسنة حيال غير المسلمين.

(١) الزمخشري: الكشاف ٣٤٥/٣، دار الكتاب العربي. بيروت سنة ١٤٠٧ هـ.

٤- اطلاعهم على أديان وأفكار غير المسلمين جعلهم يعتبرون العقل معيارا وحيدا للحكم بين الأديان والمذاهب، لأن غير المسلمين لا يخضعون لغير العقل(١).

المطلب الثالث: النقود الموجهة لمذهب النظام في تفسير القرآن الكريم

هذه أهم سمات ومعالم التفسير عند النظام، وإن كانت قليل من كثير مما عند الرجل، غير أن هذا المنهج من التفسير تشوبه العديد من الشوائب التي تفقد المنهج صلاحيته، فإذا علمنا أن أصلا من أكبر أصول المعتزلة وهو أصل التوحيد يقوم على تأويل آيات الصفات الواردة في القرآن تأويلا يخرجها عن ظاهر معناها أحيانا، وقد روي لنا عن النظام تأويلات كثيرة من هذا النوع، فمعنى اتصاف الله بالعلم هو إثبات لذاته ونفي الجهل عنه، وكذلك القول في سائر صفات الذات، ومعنى الوجه في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، هو ذات الله، وعند النظام أن الوجه هنا على التوسع لا على الحقيقة، وهو مثل قول العرب: لولا وجهك لك أفعل ذلك، أي لولا أنت، وهو يفسر اليد بمعنى النعمة(٢).

ويفسر وصف الله بأنه مريد لتكوين الأشياء أو خلقها بأنه خالقها ومكونها، ومعنى أنه مريد لأفعال العباد أنه آمر بها، ومريد لقيام الساعة أنه حاكم بذلك مخبر عنه(٣).

وقد يبدو لأول وهلة أن النظام لا يطبق المبادئ التي وضعها تطبيقا دقيقا في تأويله لآيات الصفات، ولكن في القرآن إلى جانب الآيات التي تصف الله بصفات المخلوقات

---

(١) لا يظن القارئ أننا ندافع عن منهج المعتزلة ولا نقف وراءه مهللين ومكبرين، بيد أنه من باب الإنصاف هناك العديد من القضايا تحسب لهم وقد دافعوا فيها عن الإسلام تجاه غير المسلمين.

(٢) ينظر: أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/ ١٩٠

(٣) ينظر: المصدر السابق٢/ ٢٢٠

آيات أخرىٰ تقرر أنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وتنزهه عن كل شبه بمخلوقاته، والعقل يقضي أن يكون الخالق مخالفا لمخلوقاته، منزها عن صفاتها، والعقل هو الذي يحتم علىٰ النظام أن يؤول علىٰ آيات الصفات في القرآن تمشيا مع ما يوجبه العقل.

وقد نقد ابن قتيبة منهج المعتزلة بصفة عامة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) "وفسَّروا – أي المعتزلة القرآن بأعجب تفسير، يريدون أن يردوه إلىٰ مذهبهم، ويحملوا التأويل علىٰ نحلهم، فقال فريق منهم فى قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أي علمه، وجاءوا علىٰ ذلك بشاهد لا يُعرف، وهذا قول الشاعر:

ولا بكرْسئُ علم الله مخلوق

كأنه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوق، والكرسي غير مهموز، وبكرسئ مهموز، يستوحشون أن يجعلوا لله تعالىٰ كرسياً أو سريراً، ويجعلون العرش شيئاً آخر، والعرل لا تعرف من العرش إلا السرير وما عرش من السقف والآبار، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾.. أي السرير"(١).

كما وجه أبو الحسن الأشعري النقد اللاذع علىٰ منهج المعتزلة في التفسير قائلاً: " أما بعد، فإن أهل الزيغ والتضليل تأوَّلوا القرآن علىٰ آرائهم، وفسَّروه علىٰ أهوائهم، تفسيراً لم يُنزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا رووه عن رسول رب العالمين، ولا عن أهل بيته الطيبين، ولا عن السَلَف المتقدمين، من الصحابة والتابعين، افتراءً علىٰ الله، قد ضَلُّوا وما كانوا مهتدين"(٢)

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص ٦٧، تحقيق : محمد زهري النجار، دار الجيل – بيروت ، ١٣٩٣ – ١٩٧٢م.

(٢) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ١/ ٨٠

كذلك حكم ابن تيمية على تفسيرهم فقال: "إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سَلَف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا فى رأيهم ولا فى تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسَّروا به القرآن إما دليلاً على قولهم، أو جواباً على المعارض لهم، ومن هؤلاء مَن يكون حسن العبارة فصيحاً ويدس البدع فى كلامه وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف، ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله، وقد رأيت من العلماء المفسِّرين وغيرهم مَن يذكر فى كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدى لذلك"(١).

كذلك نجد العلاَّمة ابن القيم يحكم على التفسير المعتزلة حكماً قاسياً فيقول: "إنه زُبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، وعفار الآراء، ووساوس الصدور، فملأوا به الأوراق سواداً، والقلوب شكوكاً، والعالم فساداً، وكل مَن له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحى، والهوى على العقل"(٢).

ويقول ابن تيمية: "إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم"(٣).

الخاتمة

---

(١) ابن تيمية: أصول التفسير ص ٢٢

(٢) ابن القيم: أعلام الموقعين ١/ ٨٧

(٣) ابن تيمية: الفتاوى١٣/ ٣٥٨

يُعد (النَظّام) من أهم الشخصيات، الكلامية لدى المعتزلة، وليس أدل على ذلك، من أنه مفكر من طراز خاص، سلك مسلكاً عقليا في دراسته للقرآن الكريم وقضاياه، ووصف بأنه أعظم مفكري زمانه تأثيراً، تناول العديد من القضايا القرآنية منها ما وصل إلينا، ومنها ما لم يصل، وقد بين مناحي فكره في غير موضع من كتبه تلميذه النجيب الجاحظ، فهو ذو نزعة نقدية في تفكيره، تناول ما يصل إليه علمه، ووزنه بميزان العقل، وعلى هذا الأساس يقبله أو يرفضه، يصحح الحديث أو يزيفه، ويتأول نصوص القرآن الكريم، وهو في كل أبحاثه يحكم العقل، فهو أداته، ولا يعتمد على النص بقدر ما يعتمد على العقل، وتتجلى النزعة النقدية عنده في العديد من المسائل التي من أهمها تفسير القرآن الكريم، وموقفه من الحديث الشريف، وخبر الآحاد، وغير ذلك من المسائل التي أبرزت عنده هذا الجانب.

وتحدث على وجه الخصوص عن القرآن الكريم، وكان له الموقف المنوط به في إعجازه، وسجل مقولته المشهورة: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب؛ فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم، وغني عن البيان أن القائلين بالصرفة قد تشعبت مسالكهم وتعددت أفكارهم، وأصبح لكل وجهة فيما زعم، حيث أخذت الفكرة رواجا عند بعض المعتزلة، وبعض الأشاعرة، وخليط من العلماء الذين أيدوا الفكرة ودعموها بالبراهين والأدلة، ونسبوا عجز العرب عن معارضة القرآن البيانية إلى الصرفة التي قالوا بها.

وقد أبطلنا هذه الفرية بأقوال العلماء الثقات، فلقد وصف الله سبحانه وتعالى القرآن بأوصاف ذاتية تجعله في منزلة لا تصل إليها المعجزات الأخرى، وبيّن أن وجود القرآن بينهم يتلى عليهم كافيا ومغنيا عن كل معجزة مادية أخرى، قال تعالى:﴿ وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرى لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ*﴾ [العنكبوت: ٥٠ – ٥١].

وبالتالي فالقرآن الكريم دائما معين لا ينضب، وإعجازه حقيقة ثابتة، وقضية واضحة وضوح الشمس، منذ أن نزل القرآن على النبي -ﷺ-، معجزة كبرى تحدى بها البلغاء والحكماء وأهل الكتب السماوية، فعجزوا عن تحديها وأقروا بصدقها وتساميها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولم يقف النظام عند حد تبيان وجه إعجاز القرآن؛ بل تحدث عن تفسير القرآن الكريم وقرر عدم البعد في التأويل عن المعنى الذي تدل عليه الألفاظ بحسب عادة العرب في تعبيرهم، وترك التكلف، وترك الجري وراء الغريب من التأويل، وكذلك نصح بعدم الاسترسال إلى كثير من المفسرين، وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة؛ فإن كثيرا منهم يقول بغير رواية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب، ووصلنا إلى نتيجة مفادها أن هذا المنهج من التفسير تشوبه العديد من الشوائب التي تفقد المنهج صلاحيته، فإذا علمنا أن أصلا من أكبر أصول المعتزلة وهو أصل التوحيد يقوم على تأويل آيات الصفات الواردة في القرآن تأويلا يخرجها عن ظاهر معناها أحيانا، وقد روي لنا عن النظام تأويلات كثيرة من هذا النوع، وقد يبدو لأول وهلة أن النظام لا يطبق المبادئ التي وضعها تطبيقا دقيقا في تأويله لآيات الصفات، وهذا النوع من التفسير تعرض للعديد من النقود، ومن ثم وصفهم البعض بأن أصحاب هذا النوع من التفسير أهل زيغ وتضليل، تأوَّلوا القرآن على آرائهم، وفسَّروه على أهوائهم، تفسيراً لم يُنزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا رووه عن رسول رب العالمين، ولا عن أهل بيته الطيبين، ولا عن السَلَف المتقدمين، من الصحابة والتابعين، افتراءً على الله، قد ضَلُّوا وما كانوا مهتدين، وحق لابن تيمية أن يقول: إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

ثبت المصادر والمراجع

١- أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين لأبي الحسن الأشعري،:هلموت ريتر، ط(٤) قصور الثقافة ، القاهرة ١٤٢١.

٢- أبو ريده د. محمد: إبراهيم النظّام وآراؤه الكلامية والفلسفية، ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٦م.

٣- أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى(ت١٩٧٤م)، المعجزة الكبرى- القرآن : ، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة _ بدون تاريخ .

٤- أبو شهبة: محمد بن محمد بن سويلم ،،(ت ١٤٠٣هـ)،المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبه السنة – القاهرة،١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٥- أبو موسى: محمد محمد الإعجاز البلاغي: د. ، ط٢، ١٩٧٧م ، مكتبة وهبة ، القاهرة

٦- ابن حزم: أبو محمد على: طوق الحمامة فى الألف والآلاف، ط : برلين ١٩٦٤م.

٧- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ط:(٣) مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م،

٨- ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت ٥٤١هـ) ، تحقيق عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، وزميله: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط١، قطر.

٩- ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة – الرياض، ١٤١٤هـ.

١٠- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا(المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على: (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

١٢- ابنِ عبادٍ: الصاحب، المحيطَ في اللغةِ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بدون تاريخ.

١٣- ابن نباته : سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون، ط : القاهرة ١٢٧٨هـ.

١٤- ابن القيم: محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين، (ت ٧٥١ هـ)قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط(١) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ.

١٥- ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦- ابن نبي: مالك بن الحاج عمر، الظاهرة القرآنية، (ت١٣٩٣هـ) تحقيق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، ط(٤) دار الفكر - دمشق سورية، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م.

١٧- جبريل: محمد السيد، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، بدون تاريخ.

١٨- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر،(ت : ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) الدار التونسية للنشر – تونس سنة ١٩٨٤ هـ.

١٩- ابن المرتضى: المنية والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل، تصحيح: توما أرنولد، ط:دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن،١٣١٦هـ.

٢٠- الزركلي: خير الدين: الأعلام (ت١٣٩٦هـ) ط : (١٥) دار العلم للملايين سنة ٢٠٠٢م).

٢١- ابن العثيمين: محمد بن صالح (ت ١٤٢١هـ) أصول في التفسير،

٢٢- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ،لسان العرب: ، ط(٣) ،، عني بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب وزميله ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان ١٩٩٩م.

٢٣- الألوسي: شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ، بيروت ، ١٩٧٨م.

٢٤- الأصفهاني: محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ) بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٨م.

٢٥- الأندلسي: أبوحيان : محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ) تفسير البحر المحيط: ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٦- الإيجي: عضد الدين، المواقف، تحقيق: الجرجاني، القاهرة بدون تاريخ.

٢٧- بدوى عبدالرحمن : موسوعة المستشرقين، ط: دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٩٨م).

٢٨- البخاري : (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) (المتوفى : ٢٥٦هـ) الجامع صحيح ،دار الشعب القاهرة ،بدون تاريخ.

٢٩- البغا: مصطفى ديب: الواضح في علوم القرآن، ط(٢) دار الكلم الطيب – دار العلوم الانسانية – دمشق، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

٣٠- البوطي: محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت سنة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣١- الباقلاني: أبو بكر محمد ، إعجاز القرآن – تحقيق: السيد أحمد صقر –ط:(٥) دار المعارف

٣٢- البغدادي: عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٤هـ)، الفرق بين الفرق : تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٨م .

٣٣- بلبع: د. عبد الحكيم: أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، ط: دار نهضة مصر للنشر والطبع ١٩٦٩م.

٣٤- الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: (٢) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٤٢هـ.

٣٥- الجرجاني: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني : (ت ص٨١٢هـ) شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي(ت٧٥٦هـ) : ط١، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٠٧م .

٣٦- التعريفات ، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة، ط١، عالم الكتب، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٧- الجاحظ: حجج النبوة ، القاهرة سنة١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.

٣٨- الجرجاني: عبد القاهر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر – ت: محمود شاكر – مطبعة المدني – مكتبة الخانجي.

٣٩- الحمصي: نعيم، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مؤسسة الرسالة بيروت،ط٢، سنة١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)،

٤٠- الحموي: ياقوت: معجم الأدباء ، بدون تاريخ.

٤١- الخطيب: عبد الكريم، إعجاز القرآن: الإعجاز في دراسات السابقين ط(١) ١٩٧٤- دار الفكر العربي – القاهرة

٤٢- الخفاجي: ابن سنان: سر الفصاحة، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي.ط:١٣٨٩م محمد صبيح بالقاهرة.

٤٣- الخطيب: عبد الكريم ،إعجاز القرآن: الإعجاز في دراسات السابقين — ط(١) ١٩٧٤- دار الفكر العربي - القاهرة

٤٤- الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم(ت٣٨٨هـ) بيان إعجاز القرآن الكريم : ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله أحمد ، وزميله ، ط٣، دار المعارف ، بالقاهرة

٤٥- الخياط: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد ، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: الدكتور نيبرج ، ط(٢) ١٤١٣،الدار العربية للكتاب ، القاهرة

٤٦- الخياط: أبو الحسين: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ،تحقيق وتعليق: د. نيبرج، ط: (١) مكتبة الدار العربية للكتاب ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.

٤٧- ديبور أ.ج.: تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٨٠م

٤٨- ديبور: مذهب الذرة عند المسلمين، ترجمه إلى العربية : د. محمد عبد الهادي أبو ريده الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٥

٤٩- الرومي: فهد، دراسات في علوم القرآن، ط(١٢) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

٥٠- الرافعي: مصطفى صادق ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية —- ط(٨) ١٣٨٩- التجارية الكبرى — القاهرة

٥١- الرافعي: مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ط(٤) دار الكتاب العربي، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٥٢- الرافعي: مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط(٨) ١٣٨٩، التجارية الكبرى، القاهرة.

٥٣- الرماني: النكت في إعجاز القرآن ضمن :ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – تحقيق: خلف الله وزغلول سلام – دار المعارف – مصر.

٥٤- الزركشي: بدر الدين: البرهان في علوم القرآن تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت.

٥٥- الزرقاني: محمد عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن : ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

٥٦- السرخسي، (أبو بكر محمد) :أصول الفقه والقواعد الفقهية، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان،١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

٥٧- سعد: محمود محمد، إعجاز القرآن الكريم بالصرفة، بدون تاريخ.

٥٨- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق : علي محمد عمر، طبقات المفسرين، ط(١): مكتبة وهبة – القاهرة، سنة ١٣٩٦ م.

٥٩- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ) الإتقان في علوم القرآن:، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث بالقاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٥م.

٦٠- الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط:دار المعرفة بيروت ١٤٠٤هـ)

٦١- شرح رسالة النكت للرماني – المؤلف مجهول – ت: الدكتور زكريا سعيد – ط: دار الفكر العربي – القاهرة – ١٤١٧هـ

٦٢- شاكر: محمود محمد: مداخل إعجاز القرآن، ط(١) مطبَعَة المَدَنِي دار المدني المؤسَسَة السُعوديّة بمصر شارع الصّحافة حي مشرفة سنة ٢٠٠٢ م – ١٤٢٣ هـ

٦٣- ضيف: شوقي: تاريخ الآداب العربي العصر العباسي الأول، ط(٦) دار المعارف مصر.

٦٤- الطوسي: نصير الدين، تلخيص المحصل، ط(٢) دار الأضواء بيروت- لبنان سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٦٥- العواجي: محمد بن عبد العزيز: إعجاز القرآن الكريم عند ابن تيمية ،تقديم حكمت بن بشير ياسين، ط:١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض سنة ١٣٢٧هـ)

٦٦- عمار: د. أحمد سيد محمد نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم : ط١، ١٩٩٨م . دار الفكر بدمشق .

٦٧- عرجون: محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٦م.

٦٨- عياض: أبو الفضل عياض بن موسى، الشفا، بدون تاريخ.

٦٩- العلوي: يحيى بن حمزة اليمني (ت ٧٤٩هـ)الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت.

٧٠- عبد الجبار: (القاضي) ابن أحمد (ت ٤١٥هـ) تحقيق: أمين الخولي، المغني في أبواب التوحيد والعدل (إعجاز القرآن)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة .

٧١- العلوي: يحيى بن حمزة اليمني (ت ٧٤٩هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت.

٧٢- الفخر الرازي: محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ)، تسهيل نهاية الايجاز في دراية الاعجاز: تحقيق: تيسير عبد القادر حسين ، دار الاوزاعي ، قطر ، ١٩٨٩م .

٧٣- الفراء: أبو يعلي محمد بن الحسين(ت٤٥٨هـ): العدة في أصول الفقه، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، ط(٢): ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٧٤- القطان: مناع، مباحث في علوم القرآن، ط(٣) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٥- القسطنطيني: مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون، دار العلوم الحديثة بيروت.

٧٦- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٣م .

٧٧- القرطاجني: حازم بن محمد: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، بدون تاريخ.

٧٨- القاري: الملا علي، شرح الشفا للقاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

٧٩- الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٠- الكافيجي: التيسير في قواعد التفسير،

٨١- النشار علي سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ،(ط : ٩)، دار المعارف، القاهرة.

٨٢- النبهان: محمد فاروق: الاستشراق، تعريفه، مدارسه ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم سنة١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.